مجاهد الدين قايماز

نائب إربد والموصل

٥٥٩ / ٥٩٥هـ
١١٦٤ / ١١٩٩م

تأليف

الدكتور صادق أحمد داود جودة
أستاذ مساعد
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض

مؤسسة الرسالة
دار عمار



مُجَاهِدُ الدِّين قَايْمَاز

نائِب إربِد والموصِل

٥٥٩/ ٥٩٥هـ
١١٦٤ / ١١٩٩م

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

دار عمار عمان - الاردن
ص ب - ٨٢٠٧٧ - هاتف - ٦٦٤٤٢١

مُجَاهِدُ الدِّينِ قَايْمَازْ

نائِب إربِد والموصِل

٥٥٩ / ٥٩٥هـ
١١٦٤ / ١١٩٩م

تأليف
الدكتور صادق أحمد داود جودة
أستاذ مساعد
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض

مؤسسة الرسالة
دار عمّار


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(١)

اقتضت الظروف الطارئة على الساحة الإسلامية في اواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أن تتصدى مدينة الموصل التي كانت قاعدة اقليم الجزيرة الفراتية شمال العراق والشام للعدوان، حيث تعرض المشرق الإسلامي الى الهجمة الصليبية الشرسة التي هدفت الى الاطاحة بالكيان الإسلامي في الشام واقامة كيانات صليبية على انقاضه.

واستغل الصليبيون فرصة ضعف العالم الإسلامي نتيجة فرقته آنذاك واستطاعوا تحقيق هدفهم باقامة امارات لهم في الرها وانطاكيا وطرابلس وبيت المقدس.

وكانت القوى الإسلامية التي يمكن ان تتصدى للعدوان في حالة من الضعف والانقسام سهلت على الصليبيين مهمتهم. فخليفة بغداد لا حول له ولا قوة الى جانب السلاجقة الذين دخلوا بدورهم منذ أواخر القرن الخامس الهجري في نزاعات مريرة حول رئاسة العرش السلجوقي، بينما كانت الخلافة الفاطمية هي الأخرى في وضع لا تحسد عليه من الضعف والتمزق.

ومن هنا تبرز لنا تضحيات الموصل، المدينة التي اخذ رجالها على عاتقهم مهمة التصدي للعدوان ورفعوا شعار «الوحدة الإسلامية هي السبيل الوحيد لصد العدوان» وطبقوا هذا الشعار قولا وعملا ما وسعهم الجهد.

ومما يتفق والمنطق السليم ان تسعى الموصل الى توحيد الجهود وبسط سيطرتها ولـو بالقـوة على المدن والمواقع المجاورة لتضمن لها موردا بشرياً ومادياً باستمرار لتغذي جبهتها العسكرية.

ومن هذه المدن التي سعت الموصل الى بسط سيطرتها عليها مدينة اربل التي كانت تتمتع بمركز جغرافي وتجاري ممتاز منذ ايام الأشوريين ايام ما قبل الميلاد[1]. وقد بقيت شهرتها هذه فيما بعد على مر الأيام. واربل تعتبر مركزاً استراتيجياً ايضاً بالنسبة للموصل، فهي مفتاح جبهتها الجنوبية الشرقية العريضة حيث تبعد عن المـوصل حوالي ٨٠ كم[2] والاستيلاء عليها يحقق للموصل الكثير وهذا ما وعاه اتابك الموصل عماد الدين زنكي منذ أيامه الأولى عام ٥٢٢هـ /١١٢٨م. حيث بسط سيطرته عليها[3].

واصبحت اربل حسب التنظيم الاتابكي في الموصل اقطاعا لنائبها زين الدين علي كوجك منذ عام ٥٣٩هـ. وجرياً على عادة الاقطاعيين أناب زين الدين عنه مجاهد الدين قايماز عام ٥٥٩هـ ١١٦٤م وكلفه برعاية ابنائه في اربل ومنحه ثقته المطلقة لما توسمه فيه من الخير والصلاح منذ صغره.

ولكن من هو قايماز هذا؟

تؤكـد المصادر المتوفرة لدينا انه ابو منصور قايماز بن عبدالله الزيني الملقب

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص٨٠٠.
كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص١٢٠.

(٢) ابو الفداء: تقويم البلدان طبعة ديسلان ص٤١٣.

(٣) اختلف المؤرخون في ضمها للموصل خلافاً كبيراً والارجح أن زنكي الذي سعى الى تكوين امارة قوية تتصدى للصليبيين منذ انتخابه لذلك عام ٥٢١هـ ولا يمكن ان يترك اربل طويلاً دون ان يسيطر عليها لذا فالسيطرة قد تمت في حدود عام ٥٢٢هـ. انظر:
ابو شامة: كتاب الروضتين ج١ ص٣٠.
الدواداري: كنز الدرر ج٦ ص٥٠٢.
الكتبي: عيون التواريخ ج١٢ ص١٩٧.
ابن العبري: التاريخ السرياني ص٣٠٩ مجلة المشرق عدد ٤٦ عام ١٩٥٢م.

مجاهد الدين الخادم الرومي[١]. ويعود اصله الى سجستان[٢].

وقد ظهرت مخايل النجابة فيه منذ الصغر فأخذه زين الدين علي بن بكتكين من بلده صغيراً[٣] وزين الدين هو احد مماليك قسيم الدولة والد عماد الدين زنكي مؤسس الاتابكية في الموصل والذي اصبح نائباً للاتابكية في الموصل. ولما شب قايماز عن الطوق قدمه زين الدين على اقرانه وجعله اتابكاً لأولاده في اربل، ومنحه ثقة تامة منذ عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م.[٤]

وظل مجاهد الدين قايماز يقوم بما عهد اليه من مهام خير قيام وا ستطاع بادارته الحكيمة ان يكسب ود الجماهير الاربلية نائباً عن زين الدين الذي كان يشغل نيابة الحكم في الموصل الزنكية. ولما توفي زين الدين علي كوجك عام ٥٦٣هـ ١١٦٨م[٥] اصبحت اربل وتوابعها امانة في عنق مجاهد الدين.

(١) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٢.
سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ق١ ص٤٥٨. ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/٢١ نعته بالرومي.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٦ ص١٤٤.

(٢) سجستان: مدينة كبيرة اسمها في القدم رام شهرستان ثم حمل الاسم. اقليم واسع به عدة مدن. ويمتاز بالخصب واليسار واهم مدنه زالق، كركويه، هبسوم، زرنج وبست. انظر: الحموي: معجم البلدان ج٣ ص١٩٠-١٩١.
ابن حوقل: صورة الارض ص ٣٤٧ وما بعدها ويحدد الاقليم كما سبق ويضيف اسماء مدن جديدة غير ما ذكره الحموي.
ابن الاثير: الكامل ج١٢ ص٥٥ -٥٦ يقول ان اصله من قرادى احدى مدن سجستان.

(٣) عبدالقادر طليمات: مظفر الدين كوكبوري ص١٥.

(٤) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٢.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٤٧.

(٥) ابن الاثير: الكامل ج١٢ ص٥٦ طبعة بيروت في ١٣ جزء.
ابن الاثير: الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية في الموصل ص١٣٥.
ابن المستوفى: تاريخ اربل ج٢ ص٢٥.

وسيطر مجاهد الدين على الحكم على الرغم من تولي مظفر الدين كوكبوري ابن زين الدين الاكبر الحكم اثر وفاة والده. ويذكر ابن الاثير[1] ان الحكم في اربل كان في الواقع بيد مجاهد الدين قايماز صورة ومعنى واقعياً. وهذا يتفق مع الواقع إذ لا يعقل ان قايماز الذي تولى نيابة اربل من مدة سيضحي بمستقبله السياسي في المنطقة ارضاء لكوكبوري او لغيره، خاصة وان كوكبوري لم يكن ذا دربة سياسية وحنكة ادارية آنذاك تؤهله ليتولى زمام الأمور بجانبه[2]. او ربما حدّثت كوكبوري نفسه الاستغناء عن قايماز، وهذا ما لا يرضاه قايماز نفسه، فشدد من قبضته على الحكم.

ومهما يكن من أمر فقد ظل الرجلان مظفر الدين كوكبوري ومجاهد الدين قايماز يحاول كل منهما الخلاص من صاحبه ويسعى لذلك متسلحاً بأسباب يراها في جانبه؛ فمظفر الدين كوكبوري يريد الحكم خالصاً له وبلا مراقبة مجاهد الدين وتوجيهه، ومجاهد الدين في نفس الوقت يريد ان يكون الحكم بوحيه وتحت سيطرته لأنه يعتبر نفسه ذا فضل على كوكبوري واسرته، في حين يعتبر مظفر الدين نفسه انه صاحب الحق الشرعي في الحكم وعلى الجميع تنفيذ اوامره على اعتبار انه اكبر افراد اسرة كوكبوري سناً. وقد استند مجاهد الدين في ما ذهب اليه الى أمرين.

الأول: الثقة التي منحه اياها مؤسس الاتابكية زين الدين علي كوجك والد

ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص١١٤.
ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٢١٢.
ابن واصل: مفرج الكروب ج١ ص١٥٤.
ابن العماد: الحنبلي شذرات الذهب ج٤ ص٢٠٩.

(١) ابن الاثير: الباهر ص١٧٧ محسن محمد حسين: اربل في العهد الاتابكي ص٦٢

Setlon· A History of the Crusades. u I. P. 526

(٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص١١٤.

مجهول: انسان العيون مخطوط ميكروفيلم جامعة الكويت ص٢٩٢

Encydop of Islam: Vol. 11. P 1057

مظفر الدين على اعتبار انه اقدر على ادارة الحكم من مظفر الدين وبذا اصبح له الحق في الاشراف والتوجيه.

الثاني: الثقة التي نالها مجاهد الدين من السكان خلال سنوات حكمه منذ عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م والتي تعطيه القوة امام كوكبوري وتجعل لقراراته القدرة على الاستمرار[١].

والمدقق في الامور يلاحظ انه لا بد من حسم الموقف بين الطرفين المتناقضين الى جانب احدهما والمتمعن اكثر يكاد يجزم بان الامور تسير في صالح مجاهد الدين قايماز لانه تسلح بقوة الشعب امام قوة الحق الشرعي لمظفر الدين على اساس انه أكبر أولاد زين الدين علي كوجك مؤسس اتابكية (امارة) اربل.

ان استناد مجاهد الدين قايماز الى قوة الشعب ومساندته جعلته يكتب محضرا جاء فيه ان مظفر الدين كوكبوري لا يصلح ان يكون حاكماً. ثم اعتقله بعد ان استشار الخليفة العباسي في بغداد، وأقام مقامه اخاه الاصغر زين الدين يوسف[٢]. وهذا يبرهن لنا على أنه كان من الضروري استشارة الخليفة العباسي فيما يعرض من امور في دويلات الاسلام.

والمتمعّن يلاحظ ان عملية مجاهد الدين قايماز وكتابته محضراً يدعو الى اقالة مظفر الدين يشبه ما يلجأ اليه بعض الحكام اليوم من اجراء الاستفتاءات لتمرير ما يريدون متعللين بضرورة استفتاء الشعب.

ومن العجب ان المصادر المتوفرة لا تذكر سبب الخلاف بالتفصيل بين مجاهد الدين قايماز ومظفر الدين كوكبوري وانما تكتفي بايراد اشارات مقتضبة لا تميط اللثام عن هذه المشكلة كعبارة «تعصب قايماز على مظفر الدين كوكبوري» دون

---

(١) محسن محمد حسين: اربل في العهد الاتابكي ص٦٣ مرجع سابق.

(٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص١١٤.

مجهول: انسان العيون ميكروفيلم مخطوط جامعة الكويت ص٢٩٢.

ان تذكر لنا اسباب هذا التعصب[1]. عام ٥٦٩هـ ١١٧٤م[2]

ولكن هذه المصادر تجمع في نفس الوقت على ان مجاهد الدين قايماز كان رجلا يكن الود لاسياده آل بكتكين وانه تفانى في خدمتهم كما انها تشير الى انه بادل اسياده الجدد حكام الموصل فيها بعد نفس الشعور مما جعله يشتهر بالوفاء والاخلاص[3].

ومن خلال ما ذكر حول هذه النقطة يمكننا ان نقول ان اصل الخلاف بين مظفر الدين كوكبوري ومجاهد الدين قايماز يعود الى اختلاف نظرتيهما للحكم. فمظفر الدين الشاب المتحمس الممتلىء حيوية والمتسلح بطموحات الشباب يريد ان يحكم مستقلاً دون وحي او توجيه من احد ويريد ان يلغي تبعيته للموصل. في حين ان قايماز كان يريد الحكم وهو متسلح بخبرة الشيوخ ويرى ان من الأفضل لاربل أن تبقى تحت سيطرة الموصل مما يضمن لها الاستقرار ويحقق له المجد ويكسبه رضى حكام الموصل[4].

والمهم ان مظفر الدين كوكبوري أُقصيَ عن الحكم وسجن ثم اطلق سراحه فخرج من اربل لعله يجد من يساعده على العودة للحكم. واتجه نحو بغداد ظناً منه ان الخليفة العباسي سيمنحه عونه ويقدم له الدعم المطلوب في صراعه مع قايماز. ولكنه نسي ان قايماز ما اقدم على فعلته معه الا بعد استشارة الخلافة

---

(١) ابن الاثير: الباهر ص١٣٦.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٤٧.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج٥ ص١٣٨.

(٢) عبدالقادر طليمات: مظفر الدين كوكبوري ص٤٩ مصدر سابق.

(٣) ابن الأثير: الباهر ص١٨٥/١٩٢.
ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٣٤.
ابن المستوفي: تاريخ اربل ج٢ ص٢٤ ترجمة ١٤.

(٤) محسن محمد حسين: اربل في العهد الاتابكي ص٦٤-٦٥.

العباسية، الامر الذين يفسر عدم التفات الخليفة العباسي الى مطالبه[١].

ولعل من اهم الاسباب التي دفعت بالخليفة الى اهمال مطالب مظفر الدين، صغر سنه وحداثته بالحكم وعدم خبرته اذا ما قيس بمجاهد الدين قايماز، بل لا نكون مغالين اذا ما قلنا ان ضعف الخلافة العباسية انذاك وعجزها عن تقديم اي دعم حقيقي لمظفر الدين في صراعه مع مجاهد الدين قايماز من اهم الاسباب التي حالت دون تدخلها في ذلك الصراع[٢]. أو أن الخلافة رأت ألا ضرورة لأن تشغل نفسها بأمر تم بما هو أفضل.

والأهم من ذلك ان مظفر الدين لم يجد ضالته في بغداد فأخذ يقلب الأمور شرقاً وغرباً ويفكر بما عساه يفعل هل يستسلم لما حصل في اربل، أم يحاول ايجاد حليف يساعده على الاطاحة بقايماز، ثم من هو هذا الحليف؟ وبعد تفكير وترو قرر الالتجاء للموصل علها تجد له حلاً مناسباً بعد أن لم يجد له حلاً في بغداد وكان حاكم الموصل آنذاك سيف الدين غازي الثاني (٥٦٥-٥٧٦هـ/١١٦٩، ١١٧٠-١١٨٠م) فتلقى مظفر الدين بالترحاب واقطعه حران وادخله في خدمته، ولعل سيف الدين قد رأى هذا الحل ليضمن شر مظفر الدين وبقاء قايماز تابعا للموصل في اربل[٣].

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٤ ص١١٤-١١٥.
مجهول: انسان العيون ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ١٣٠٣ ص٢٩٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم طبعة حيدر اباد الدكن ج١٠ ص٢٣٢-٢٣٣.
ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٣٦٠ وكان الخليفة آنذاك المستضيء وكان في ذلك الوقت اعجز من ان يقدم شيئاً، ثم انه راض عمّا حصل في اربل لرضائه عن قايماز خاصة وان الحكم في اربل انتقل من اخ الى اخ من مظفر الدين كوكبوري الى اخيه زين الدين يوسف.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٤ ص١١٥.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج١٢ رقم٦٠١ حوادث ٥٧١هـ.
محسن محمد حسين. اربل في العهد الاتابكي ص٦٦.
عبدالقادر طليمات: مظفر الدين كوكبوري ص٧٠.

مجاهد الدين قايماز في الموصل:

ظلت علاقات اربل بالموصل علاقات حسنة بعد خروج مظفر الدين كوكبوري واستلام اخيه زين الدين يوسف حكم اربل بتوجيه قايماز، وهذا معناه استمرار تبعية اربل للموصل في هذه الفترة من تاريخها، وهذا ما كان يفضله مجاهد الدين قايماز.

وتطورت الظروف في الموصل اثر هزيمة جيوشها أمام جيوش صلاح الدين الأيوبي بالقرب من حلب في موقعة تل السلطان في العاشر من شوال عام ٥٧١هـ، ٢٣ أبريل عام ١١٧٦م[١]. واصبح الموقف في الموصل يستدعي شخصية قادرة على اعادة الامور الى نصابها خاصة وان حالة سيف الدين غازي الثاني حاكمها اصبحت مزرية لدرجة انه بات خائفاً من مهاجمة صلاح الدين الايوبي للموصل[٢]. ولولا استدعاء سيف الدين غازي الثاني لمجاهد الدين قايماز في ذي الحجة عام ٥٧١هـ، يونيو ١١٧٦م ليشرف على تهدئة الموقف لما عرف عنه من الشجاعة والثبات وحسن التدبير، لكان شيئاً آخر، بل لغادر سيف الدين المدينة.

والمهم ان مجاهد الدين اكتسب ثقة صاحب الموصل سيف الدين غازي

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٢٢٧ وما بعدها.
ابن شداد: سيرة صلاح الدين الايوبي تحقيق جمال الشيال ص٥٢.
ابو شامة: كتاب الروضتين طبعة دار الجيل ج١ ص٢٥٤ وما بعدها.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٣٩.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج١٢ رقم ٦٠١ حوادث ٥٧١هـ.

(٢) ابن الاثير: الكامل ج١١ ص٤٢٨ ويقول ان سيف الدين خرج الى الجبال محتمياً بها خوفاً من مهاجمة صلاح الدين للموصل ولولا الوزير جلال الدين الاصفهاني ومجاهد الدين قايماز لظل هناك.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٤٠.
ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر طبعة بيروت ج٣ ص٥٨.
ابن الوردي: تتمة المختصر طبعة النجف العراق ج٢ ص١٢٣.

لدرجة انه فوض اليه الامور، حتى ان ابن الأثير يقول[1]: «ورد اليه ازمة الامور في الحل والعقد والرفع والخفض».

ومن مظاهر الثقة الزائدة التي منحها سيف الدين غازي الثاني لمجاهد الدين قايماز انه سلمه قيادة الجيش العامة واعتبر ان فشل جيوش الموصل في حربها مع صلاح الدين يعود في الدرجة الاولى الى فشل الخطط العسكرية التي وضعها القائد السابق محمود زلفندار، فأمر بسجنه وسلم القيادة لمجاهد الدين قايماز[2].

علاوة على ما كان يشغله من منصب رفيع في نيابة قلعة الموصل منذ مقدمه في ذي الحجة عام ٥٧١هـ يونيو ١١٧٦م[3]. وهو مركز يتمتع صاحبه بميزات كبيرة تجعله الرجل الثاني في الدولة؛ لما للقلعة من أهمية في حياة مدن القرون الوسطى.

إن هذا الوضع الجديد مكن مجاهد الدين قايماز ان يلقي بثقله في جانب اجراء الصلح بين الموصل وصلاح الدين الأيوبي عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٧م، مما دعا صلاح الدين الى توجيه كتاب شكر للموصل على موقفها النبيل هذا، ويمدح فيه قايماز قائلا: «وكذا للأمير مجاهد الدين قايماز ادام الله تأييده في ذلك السعي المشكور والاثر المأثور وتجارة الخير التي لا تبور، والعزم الذي يتوضح في ظلام الخطب منه نور على نور، فهو مشكور بلسان احسانه، معدود اذا اتسع ميدان الفضل من

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٤ ص٨٢.
ابن تغري بردى: ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج٦ ص٧٦.

(٢) ابن الاثير: الكامل ج١١ ص٤٢٨.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٤٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٣٤ الباهر ص١٧٧.
ابن المستوفي: تاريخ اربل ج٢ ص٢٤ ترجمة ١٤.
ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٢.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٥٨.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ٦٠١ حوادث ٥٧٢هـ.
داود جلبي: مخطوطات الموصل مطبعة الفرات ببغداد ١٣٤٦/١٩٢٧م ص٧.

سبقه وفرسانه[1]» .

إن علو كعب مجاهد الدين قايماز في الموصل جعل والي شهرزور[2] شهاب الـدين محمد بن بوزان يتمرد على سيادة الموصل وذلك لعداوته السابقة لمجاهد الدين قايماز منذ أيامه في اربل[3]. فخاف ان يناله مكروه الان على يديه فأحجم عن الحضور لخدمة سيده سيف الدين غازي الثاني بالموصل.

ومعنى هذا خروج شهرزور على سيادة الموصل وتمردها الامر الذي لا تستطيع معه الموصل السكوت. وسارع الوزير جلال الدين الاصفهاني وزير الموصل وارسل بدوره رسالة الى ابن بوزان يشرح له فيها ضرورة الطاعة والعودة لخدمة الموصل ويحذره في نفس الوقت عاقبة العصيان وان المصلحة تقتضي عودته فاقتنع ابن بوزان بعدم جدوى العصيان وتأكد أن من الواجب العودة لخدمة الموصل[4]. ولعل هذا التدخل قد حال بين مجاهد الدين قايماز والانتقام من عدوه ابن بوزان. الأمر الذي حمل مجاهد الدين على ان يعتبر هذا التدخل من الوزير تدخلا في شئونه الخاصة، الأمر الذي ترتب عليه ان دخل مجاهد الدين قايماز في مؤامرة اطاحت بالوزير في العام القادم لما له من نفوذ وسلطان لدى حاكم الموصل سيف الدين.

(1) البنداري: سنا البرق الشامي تحقيق فتحية النبراوي ١٩٧٩م مكتبة الخانجي مصر. ص١٢٢-١٢٤ يضم هذا الكتاب حوادث السنوات (٥٦٢-٥٨٣هـ).
البنداري: سنا البرق الشامي تحقيق رمضان ششن ١٩٧٠/١٩٧١م دار الكتاب الجديد. لبنان ص٢٤٧.

(2) الحموي: معجم البلدان ج٣ ص٣٧٥ ويقول: شهرزور كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان بها قرى كثيرة واهل هذه النواحي كلهم اكراد.

(3) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٢.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم الكويت رقم ٦٠١ حوادث ٥٧٢هـ ولم تفصح المصادر عن سبب العداوة بل اكتفت بالاشارة اليها واظن انها من باب التنافس على المجد ليس إلّا.

(4) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٣٧-٤٣٨.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٥٨.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ٦٠١ حوادث ٥٧٢هـ.

قايماز والخلاص من الوزير جلال الدين الاصفهاني[1]:

ولعل نفس مجاهد الدين قايماز اخذت تهفو الى بسط سيطرته على كل شيء في الموصل واصبح لا يحب ان يرى مُنافساً له على السيادة، الأمر الذي جعل قايماز يخطط للاطاحة بالوزير الاصفهاني، ذلك الرجل الذي يمكنه الوقوف امام مشاريعه ومخططاته في المستقبل. وكان الوزير جلال الدين قد التحق بخدمة الموصل هو الآخر عام ٥٧١هـ ١١٧٥/١١٧٦م[2] ووصف بأنه كان على درجة كبيرة من الذكاء والمعرفة بقواعد الحكم واتقان فنونه المتعددة مما أخاف مجاهد الدين قايماز[3].

ولعل نجاحه في هذا الميدان قد جلب له متاعب كثيرة وأثار حقد مجاهد الدين قايماز المتحفز الى التسلط والاستئثار بالسلطة دون الآخرين. ولعل حادثة شهرزور السابقة كانت القشة التي قصمت ظهر البعير ودفعت قايماز الى الرمي بثقله لدى سيف الدين غازي الثاني واقناعه بضرورة الاسراع بالخلاص من جلال الدين، فأمر بالقاء القبض عليه في شعبان عام ٥٧٣هـ يناير - فبراير ١١٧٨م[4]. وظل جلال الدين في السجن الى ان تشفع له كمال الدين نيسان وزير صاحب آمد احدى مدن ديار بكر من ارض الجزيرة الفراتية.

وكان جلال الدين زوج ابنته فسار الى آمد وظل بها الى أن توفي في العام التالي

---

(١) جلال الدين الاصفهاني: هو جلال الدين الاصفهاني ابن وزير الموصل المشهور جمال الدين الاصفهاني الملقب بالجواد لكثرة اعماله الخيرية. وقد اشتهر الاثنان زمن الدولة الأتابكية في الموصل وتوفي جمال الدين عام ٥٥٩هـ.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٣٤ ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٤٦.
الذهبي: تاريخ الإسلام مخطوط الكويت ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ١٢٦٨ ورقة ٣١٦أ.

(٣) ابن الأثير: الباهر ص١٧٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٤٨.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٤٦-٤٧.

٥٧٤هـ ١١٧٨-١١٧٩م[1]. ثم نقل جثمانه بعد ذلك الى الموصل فالمدينة المنورة حيث استقر جثمانه بجانب جثمان والده جمال الدين الجواد الاصفهاني.

وهذا دليل عجز وتقصير من جانب سيف الدين غازي أمير الموصل الذي انساق بسرعة وراء أباطيل مجاهد الدين قايماز الداعية الى القاء القبض على جلال الدين والخلاص منه للاستئثار بالحكم. ولعل ما يشفع له في هذا المجال هو ضعف شخصيته امام شخصية نائبه مجاهد الدين قايماز على الرغم من انه هو الحاكم الأول في الدولة ورأس سلطتها.

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٧٧ يقول الوفاة حصلت عام ٥٧٤هـ.
ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٤٨ يقول الوفاة عام ٥٧٤هـ.
ويخطىء ابن الأثير في رواية اخرى في الكامل ج١١ ص ٥٦٣ ويقول فيها ان وفاة جلال الدين كان في آمد عام ٥٨٣هـ مع أنه في الرواية السابقة انه توفي عام ٥٧٤هـ بآمد ونقل الى الموصل فالمدينة المنورة والأصح أن وفاة جلال الدين عام ٥٧٤هـ لأن المصادر الأخرى تؤيد هذا كابن واصل وغيره.
وهناك تضارب آخر في وظيفة ابن نيسان وشخصيته. فابن الاثير في الباهر ص١٧٧ يقول: ان كمال الدين ابن نيسان هو وزير صاحب آمد. وفي الكامل ج١١ ص٤٤٨ يقول: ان ابن نيسان هو رئيس آمد (أي حاكمها وأميرها) وابن واصل يؤيد رواية الباهر ويأخذ بها. وقد ورد في تاريخ الإسلام للذهبي مخطوط جامعة الكويت رقم ١٢٦٨ ورقة ٣١٦/أ ان كمال الدين بن نيسان هو وزير صاحب آمد. وكذلك في كتاب الروضتين ج١ ص٢٦ لابي شامة.
وعقد الجمان للعيني مخطوط رقم ٦٠١ حوادث ٥٧٤هـ. ونحن نؤيد هذا الرأي ونخالف ابن الأثير. وقد أيد هذا الرأي من المحدثين:
زامباور: معجم الاسرات ج٢ ص٢١١.
رشيد الجميلي: دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ط٢ ص٢٤١ عام ١٩٧٥م دار النهضة بيروت لبنان.
عصام الدين عبدالرؤوف: بلاد الجزيرة اواخر العصر العباسي ص٢٢٦.

مجاهد الدين قايماز زمن عز الدين مسعود أمير الموصل(١)
٥٧٦ - ٥٨٩هـ / ١١٨٠-١١٩٣م

كان سيف الدين غازي الثاني قد عهد الى اخيه عز الدين مسعود بحكم امارة الموصل بعده، وكان يود ان يعهد لابنه نصر الدين سنجر شاه البالغ من العمر اثني عشر عاماً. ولم يمنعه الا تحرج موقف الموصل اذ عليها ان تقف امام صلاح الدين، وابنه اعجز من أن يقف هذا الموقف(٢).

ثم أضيفت الى هذا المانع موانع اخرى اضطر بموجبها سيف الدين أن يعهد لأخيه بدلا من ابنه، منها: أن عز الدين مسعود وقف بحزم امام رغبة أخيه بالعهد لابنه الصغير وطالب بشدة بعرش الموصل لنفسه اعتقاداً منه بأحقيتـهبالحكم وذلك لكبر سنه، على عادة الشعوب التركية. ثم انه هو القادر على حماية حدود الدولة والوقوف في وجه الطامعين أمثال صلاح الدين وغيره(٣). هذا بالاضافة الى رغبة امراء سيف الـدين غازي وعلى رأسهم مجاهد الدين قايماز ان يكون عز الدين مسعود وارثاً للعرش الاتابكي الزنكي بالموصل. وذلك لشجاعته ومقدرته وحسن تدبيره؛ فاقترح هؤلاء الامراء ان يتولى ولدا سيف الدين غازي بعض البلاد برعاية عمهـما؛ فاقطع سنجرشاه جزيرة ابن عمر واقطع ناصر الدين كشك قلعة عقر الحميدية والشوش(٤).

---

(١) ابن ايوب (شاهنشاه): منتخبات من تاريخ صاحب حماة ص٢٧٧.
ابن شداد: الاعلاق الخطيرة. وزارة الثقافة . سوريا. عام ١٩٧٨م. ج٣ ق١ ص٢٧٧.
ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر ج٣ ص٦٢.
الذهبي: دول الاسلام ج٢ ص٨٩.
(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٩٣.
الملك الغساني: العسجد المسبوك ص١٨٠.
(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ط٢ ص٢١٨.
ابن شداد: الاعلاق الخطيرة ج٣ ق١ ص٢٢٨.
(٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ق١ ص٣٦٤. =

وهكذا اصبحت كفة عز الدين مسعود هي الراجحة بمساعدة مجاهد الدين قايماز وبرضى البيت الزنكي وباجماع الامراء في حين شالت كفة نصر الدين سنجر شاه. واصبح على عز الدين ان يتولى الحكم حينما يتوفى أخوه فتم له ذلك في ٣ صفر عام ٥٧٦هـ ٢٩ يونيو عام ١١٨٠م(١). وانساقت له الامور دون فوضى، واصبح مجاهد الدين قايماز هو المتصدر والمتحكم وهذا ما أرضى غروره. ومن هنا تبرز لنا شخصية قايماز القادرة على تحريك الأمور ودفعها الى الوجهة التي يريدها(٢).

ولكن ما هي السياسة التي سيسلكها قايماز مع صلاح الدين الذي ما انفك يحاول المرة تلو الأخرى اخضاع الموصل وادخالها في جبهته الإسلامية الموحدة لمقارعة العدو الصليبي.

تشير المصادر المتوفرة الى أن صلاح الدين الأيوبي كان مخيماً على نهر كوك(٣) على حدود سلاجقة الروم في ذلك الوقت الذي اعتلى فيه عزالدين مسعود سدة الحكم في الموصل. فارسل اليه مجاهد الدين قايماز رسولاً من لدنه وافهم الرسول

= جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل بينهما مسيرة ٣ أيام. وللبلدة عدة قرى خصبة. يحيط بها دجلة من جهاتها عدا جهة شبه الهلال ولكن الاهالي عملوا خندقاً من هذه الجهة واجروا فيه الماء فصارت جزيرة. انظر: ابن عبدالحق: مراصد الاطلاع ١/٣٣٣.

عقر الحميدية: قلعة حصينة في جبال الموصل الشرقية. انظر: ابن عبدالحق: مراصد الاطلاع ٢/٩٥٠.

الشوش: قلعة عالية جدا بقرب عقر الحميدية من اعمال الموصل اعلى من العقر وأكبر ولكنها في القدر دونها. انظر: ابن عبدالحق: مراصد الاطلاع ٢/٨١٩ الحموي: معجم البلدان ٣/٣٧٢.

(١) ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٩٢.
جب (هاملتون): صلاح الدين الايوبي ص١٣٤.
Stevenson : The Crusades. P. 223.

(٢) ابن أيوب (شاهنشاه): منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماة ص٢٧٧.

(٣) كوك سو: النهر الازرق ويقع بين بهنى وحصن منصور وهو في تركيا اليوم.

بضرورة مفاوضة صلاح الدين والتوسط لديه ليبقي مجموعة البلاد التي كانت خاضعة للموصل زمن سيف الدين غازي خاضعة لها أيام عز الدين مسعود. وهذه البلاد هي (سروج، الرها، الرقة، حران، الخابور، نصيبين). ولكن المفاوضات لم تنجح لاصرار صلاح الدين على ضرورة عودة هذه البلدان لسلطانه هو. وكانت هذه البلدان قد اعطيت لسيف الدين غازي بأمر من الخليفة العباسي على شرط ان يدعم صلاح الدين بكل ما يقدر عليه للوقوف امام العدو الصليبي(١).

ولكن لما توفي سيف الدين غازي الثاني، كتب صلاح الدين الى الخليفة العباسي يخبره ان هذه البلاد مما يتقوى به في وجه الصليبيين الامر الذي جعل الخليفة يفوض امرها اليه بل واعطاه حق التصرف التام بها(٢).

وكان رسول مجاهد الدين قايماز الى صلاح الدين هو الشيخ الفقيه فخر الدين ابو شجاع بن الدهان البغدادي، وكان بحوزته نسخة اليمين الموقعة من قبل صلاح الدين نفسه لسيف الدين غازي بأن لا يغير على سيف الدين واخوته او نوابهما فيما يخص تلك البلاد، وقال: «هذا اخوه الذي حلفت انك لا تغير عليه، فبأي تأويل تقبض ما في يديه»(٣)

(١) البنداري: سنا البرق الشامي تحقيق رمضان ششن ص٣٥٧.
ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص١٧.
ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص٣٠٥.
ويقول ابن كثير: ان رسل الخلافة جاءت الى صلاح الدين ليبقي هذه البلاد بيد عزالدين مسعود ولكنه رفض وذلك لضعف الخلافة ولحيوية هذه البلاد بالنسبة له اثناء صراعه مع الموصل وانها تعتبر مصدر قوة له. وانما ابقاها مع سيف الدين غازي الثاني على أمل أن يساعده وأما الآن فان عز الدين مسعود لن يساعده.
العيني: عقد الجمان مخطوط ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ٦٠١ ج١٢ حوادث ٥٧٦
Stevenson: The Crusades. P 223

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ق١ ص٣٦٥.
Setlon: op. Cit. Vol 1. P. 575

(٣) البنداري: سنا البرق الشامي تحقيق ششن ص٣٥٧. =

فأجابه صلاح الدين: «اما تلك اليمين فانها منوطة باتمام الحياة، ولا يلزمنا الوفاء بها بعد الوفاة، ونحن نرى رأينا فيها نعتمده ونحله في الأمر ونعقده، ونطالع الديوان العزيز النبوي اعز الله نصره ونمتثل في ذلك امره[1]».

وفي الواقع كان صلاح الدين محقاً في تصرفه هذا فإنه لم يكن قد تعهد بأن تبقى تلك البلاد مع سيف الدين غازي واخوته من بعده، بل في حياته فقط. وقد وفى بما عاهد الله عليه. ثم اعطى نفسه حق التحرك والعمل بما يراه مناسباً بعد ان اتصل بالخليفة العباسي. وكان رد الخليفة: ان تلك الاماكن يجب ان تعاد الى صلاح الدين ليتقوى بها في وجه الصليبيين وهذا يعني اقرار من الخليفة وموافقة منه على ان يتحكم صلاح الدين في تلك الجهات ويستغلها لصالحه. وهذا يتفق مع سياسة صلاح الدين الرامية الى السيطرة على تلك البلاد واخراجها من سلطة الموصل لتكون عونا له ضد الغزاة الصليبيين[2].

وليبرهن صلاح الدين على حسن سياسته واحراج قايباز والموصل، وضع الامر كله بيد الخليفة العباسي بعد ان كتب اليه وبيّن في كتابه المنجزات التي حققها والصعوبات التي قضى عليها والجهاد الذي قام به نيابة عن المسلمين في وجه العدوان الصليبي، وانه تحمل كل ذلك دون غيره من الحكام المسلمين كحكام الموصل وغيرهم. لذا فهو اولى بأن يتقوى بتلك البلاد التي هي مدار نزاع بينه وبين الموصل، وقايباز. خاصة وان مصر التي تعتبر المورد الرئيسي للقوات الايوبية

= العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج١٢ حوادث ٥٧٦هـ.

(١) الأيوبي: (محمد بن تقي الدين) مضمار الحقائق تحقيق حسن حبشي عالم الكتب. القاهرة ص٤٣-٤٤.

يقول: ولاية عزالدين بعد سيف الدين ليست بعهد منه بل بالحيلة والخديعة. وهو مستغرب لأن الثابت انها بعهد.

(٢) ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص١٧.

Setton. op. Cit. Vol. 1. P. 575

المحاربة يتربص بها الاعداء من كل جانب انذاك[١].

ومما تجدر الاشارة اليه ان رد الخليفة كان ايجابيا كما بيّنا وذلك بأن فوض صلاح الدين ملكية البلاد المتنازع عليها مع الموصل، ووصل التفويض مع خلع التشريف إلى صلاح الدين في رجب من عام ٥٧٦هـ نوفمبر - ديسمبر ١١٨٠م، مع شهاب الدين بشير الخاص، وشيخ الشيوخ أبي القاسم عبدالرحمن[٢].

وبعد ان اطمأن صلاح الدين الى سير الأمور بهذا الشكل عاد الى مصر في ١٨ رجب ٩ ديسمبر ١١٨٠م ووصلها في ١٣ شعبان عام ٥٧٦هـ ٣ يناير ١١٨١م[٣]. ومع كل هذا ظل مجاهد الدين قايماز يعمل على تقوية جبهته في الموصل امام طموحات صلاح الدين الأيوبي وغيره.

---

(١) ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص١٧.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص٩٤.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي تحقيق ششن ص٣٥٢- ٣٥٤
المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٧٠

Setlon: op cit. Vol. 1 P. 575

(٣) الأيوبي: (محمد بن تقي الدين) مضمار الحقائق ص٥٣.
ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص١٩.

دور قايماز في الاحداث التي تلت وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود في حلب عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م:

كان الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب قد اوصى بأملاكه الى ابن عمه عزالدين مسعود صاحب الموصل بعد وفاته، على الرغم من رغبة معظم امرائه الذين كانوا يرون الحق بأهلية عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود واخ عز الدين نفسه، صاحب سنجار وصهر الملك الصالح اسماعيل[١].

ولما انتقل الصالح الى جوار ربه في ٢٥ رجب عام ٥٧٧هـ/ ٤ ديسمبر ١١٨١م، ارسل الامراء الحلبيون الى عزالدين مسعود يدعونه لاستلام الحكم في حلب وذلك تنفيذاً لوصية الملك الصالح اسماعيل [٢].

ولكن لماذا اختار الملك الصالح عز الدين مسعود دون غيره؟ وللاجابة على هذا السؤال نقول: إن ذلك يعود الى ما عرف عن عزالدين مسعود من الشجاعة والقوة، فهو يعد من ابرز اعداء صلاح الدين منذ عام ٥٧٠هـ حيث وقف ضد مشاريعه في قرون حماة وتل السلطان. ومن هنا نرى ان عزالدين مسعود هو القادر على الوقوف في وجه صلاح الدين وحماية الاملاك الزنكية في حلب والموصل[٣].

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٧٢- ٤٧٣.
شاهنشاه بن ايوب: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماة ص٢٧٨.
ابن شداد: سيرة صلاح الدين الايوبي تحقيق الشيال ص٥٥.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٥ ص٢٠٤.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج٤ ص٢٥٨.
Stanly Laue Poole: Saladin. P. 165

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٠٨.
الحموي (ابو الفضائل): التاريخ المنصوري، نشر موسكو ص١٨٦ ويقول خطأ بموت الملك الصالح اسماعيل عام ٥٧٦هـ مخالفا كل المعاصرين.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٧٣- ٤٧٤.
ابن الأثير: الباهر ص١٨٢-١٨٣.

وليس هذا مبالغة كما ذكر دريد نوري[1] اثناء كلامه عن علاقة صلاح الدين بالموصل. لأن الأتابكة الزنكيين كانوا فعلا عاقدي العزم على الوقوف أمام صلاح الدين في الشام والجزيرة وحماية املاكهم من اطماعه. اذن فلا غرابة في أن يعهد الملك الصالح اسماعيل الى ابن عمه عزالدين مسعود بحكم حلب وتوابعها.

ومهما يكن من أمر فقد وصل الخبر من أمراء حلب باستدعاء عزالدين مسعود لاستلام زمام الأمور، بينما كان مجاهد الدين قايماز سائراً بجنوده في جهات ماردين بديار بكر من ارض الجزيرة الفراتية، فالتقى برسول حلب الموفد للموصل وسار رأساً الى الفرات وأرسل يستدعي عزالدين مسعود، وكان بالموصل واستحثه على السرعة. ولما بلغ الخبر الى عزالدين مسعود سار مسرعاً من الموصل الى الفرات حيث يعسكر قايماز واجتمع به، وكانت خطة قايماز تقضي بأن يستدعي عزالدين امراء حلب ليلاقوه على الفرات خوفاً من أن يكون في الأمر خدعة، وهذا من باب الاحتياط، ودليل على ان قايماز يتمتع بالحنكة السياسية والقدرة على ترتيب الأمور بعيداً عن مواطن الخطر وبذا يضمن ولاء الحلبيين له ولسيده[2].

وهنا يبرز لنا الدليل الواضح على كذب الادعاء القائل بأن عزالدين مسعود قد تآمر على الملك الصالح اسماعيل وتخلص منه. فلو كانت هناك مؤامرة لاسرع عزالدين رأساً الى حلب دون ان ينتظر على الفرات، ولما ارسل يستدعي امراء حلب ليستوثق منهم او لأرسل على الأقل نائبه مجاهد الدين قايماز يستطلع الأمر ويهدىء الأمور بسرعة ريثما يحضر هو ويدخل حلب. وبما انه لم يفعل فإن تهمة

---

(١) دريد نوري: سياسة صلاح الدين الأيوبي الخارجية ص٢٠٠-٢٠١.

(٢) ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص٢٢ عن ابن شداد ويذكر ابن شداد ان عزالدين مسعود امير الموصل خاف من صلاح الدين واسرع الى حلب وارسل مظفر الدين كوكبوري وصاحب سروج اليها ووصل معهما من الأمراء من حلّف كل الامراء في حلب لعزالدين.

ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٠٨.

تآمره تبقى عارية عن الصحة وبحاجة الى سند قوي .

ولما حضر وفد الأمراء الى عز الدين بايعوه ودخل بهم حلب . ولكن سرعان ما استبدلها بسنجار والخابور ونصيبين مع أخيه عماد الدين زنكي مما يبرهن بالدليل القاطع على نفي تهمة المؤامرة عنه او عن نائبه مجاهد الدين قايماز .

وتجمع المصادر المتوفرة على أن عزالدين مسعود لم يمكث طويلاً في حلب بل عاد الى الموصل . وبينما كان في طريقه وبالقرب من الرقة وافته رسل اخيه عماد الدين زنكي الثاني صاحب سنجار تلح عليه ان يتسلم عماد الدين حلب مقابل تخليه عن سنجار وتوابعها لأخيه بالموصل . الا ان عزالدين رفض ذلك العرض اول الامر ثم عاد فوافق عليه[1] .

ولنا أن نتساءل، ما هي الظروف التي أجبرت عز الدين على تسليم حلب لأخيه عماد الدين زنكي مقابل سنجار وملحقاتها .

إن أهم هذه الاسباب في نظرنا يعود الى ان عماد الدين زنكي الثاني أخ عزالدين مسعود كان يعتقد في قرارة نفسه أنه أحق من أخيه عزالدين مسعود في تولي حكم الزنكيين في الشام والجزيرة . وكان هذا الأمر قد رفضه حاكم الموصل السابق سيف الدين غازي الثاني عام ٥٧٠هـ، مما جعل عماد الدين ينحاز الى جانب صلاح الدين في صراعه مع البيت الزنكي آنذاك، الأمر الذي أجبر أخاه حاكم الموصل سيف الدين غازي الثاني على محاربته واعادته الى حظيرة الدولة الزنكية . وهو الآن مستعد بل إنه يتوق الى اتمام هذا الأمر ولو بالاستعانة بصلاح الدين الأيوبي عدو الزنكيين وعزالدين مسعود . وأنه على استعداد تام للانضمام الى صفوف صلاح الدين . وهو في نفس الوقت يطلب السيطرة على حلب مقابل هذا .

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج١١ ص٤٧٤ .
ابن شداد: الاعلاق الخطيرة ج٣ ق١ ص٧٧ .
الملك الغساني: العسجد المسبوك ص١٨٤

فرأى عزالدين مسعود أن المصلحة تقتضي أن ينزل على رغبة اخيه ويجيبه الى طلبه ويتنازل له عن حلب[1].

زد على ذلك أن كبار الأمراء، وعلى رأسهم مجاهد الدين قايماز كانوا يحبذون التخلص من حلب والالتزامات الجديدة التي فرضتها الظروف عليهم تجاهها. والظاهر أن قايماز آثر البقاء في الموصل على أن يضم حلب اليها. وهذا يظهر لنا بجلاء أن قايماز كان عاجزاً لأمر أو لآخر عن الاحتفاظ بحلب الى جانب الموصل وذلك يعود الى انه اعتقد ان صلاح الدين سيسيطر على حلب إن عاجلاً أو آجلاً، لذا فعليه الحفاظ على مركزه في الموصل والابتعاد عن حلب ومشاكلها الأمر الذي جعله يحرض عز الدين مسعود على قبول العرض ومبادلة حلب بسنجار[2].

وهكذا تمت الصفقة الخاسرة كما يدعوها ابن الأثير، وعاد عزالدين الى الموصل ودخلها بصحبة نائبه مجاهد الدين قايماز ١٩ مايو ١١٨٢م. ١٢ محرم ٥٧٨هـ[3]. ويضيف ابن شداد[4] ان عزالدين تأكد أنه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل حيث أن بقاءه في الشام يلزمه بالتصدي لمشاريع صلاح الدين الوحدوية الهادفة إلى ضم أملاك الموصل والزنكيين إلى سيادته، وهذا لا يريده على الأقل آنذاك. ثم ان

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٧٤.
ابن شداد: المصدر السابق.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج١٢ رقم ٦٠١ حوادث ٥٧٧هـ.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٧٤.

(٣) شاهنشاه بن أيوب: منتخبات من تاريخ صاحب حماة، ذيل سيرة صلاح الدين لابن شداد طبعة المؤيد بمصر ص٢٧٩.
ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر ج٣ ص٦٣ طبعة دار الثقافة بيروت لبنان. وأيار هو شهر مايو.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٠٩-١١٠.
الملك الغساني: العسجد المسبوك ص١٨٤.
S. L. Poole. Saladin, P 165.

الأمـراء الحلبيين طالبوه بالـزيادات في رواتبهم خاصـة وأنهم قد رأوا أنفسهم أصحاب فضل عليه لأنهم وافقوا على توليه حلب فضاق صدره وكان نائبه ضيق الصدر مثله آنذاك، لم يعتد مقاساة أمر كهذا فألَحّ عليه بالعودة الى الموصل واتمام صفقة المبادلة[1].

وأما الأصفهاني[2] فيدلي بدلوه في هذا الشأن قائلاً: «ثم عرف (عزالدين) انه لا يستقـر له بها (حلب) امر فرغب اخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار في تعويضها بحلب فمال الى ذلك ورغب».

ومهما يكن من أمر فقد يكون عز الدين اختلف مع امراء حلب اثر مطالبتهم بزيادة الرواتب بعد ان الحوا عليه بمهاجمة املاك صلاح الدين بالشام ورفضه، الأمر الذي ترتب عليه انه اصبح لا ينفذ طموحاتهم وعليه ان يترك حلب. قد يكون هذا، ولكن يبقى لتدخل مجاهد الدين قايماز في الأمر الى جانب اتمام الصفقة اثر هام جعل عزالدين يميل مكرهاً الى امضاء المبادلة بعد ان اقتنع بأن اخاه عماد الدين زنكي ربما انضم الى جانب صلاح الدين[3]. فأراد ان يكسبه الى جانبه ثم ان عزالدين في النهاية لا يهمه ان تكون حلب معه او مع عماد الدين زنكي ما دام الأخـير على استعداد للوقوف امام صلاح الدين الايوبي في صراعه مع الموصل والزنكيين، وهذا ينسجم مع اقوال ابن الأثير أكثر من أقوال الاصفهاني وابن شداد السابقة.

---

(١) ابو شامة: كتاب الروضتين ص٢٢ ج٢.
سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ق١ ص٣٦٧.
ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٥ ص٢٠٤.
(٢) ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص٢٣.
(٣) العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج١٢ رقم ٦٠١ حوادث ٥٧٧هـ.

علاقة قايماز بمظفر الدين كوكبوري بعد موت الملك الصالح اسماعيل :

اسلفنا القول بأن مظفر الدين كوكبوري قد خرج من اربل غاضباً على مجاهد الدين قايماز وطوَّف بالبلاد واستقر أخيراً في كنف صاحب الموصل وأميرها سيف الدين غازي الثاني الذي اقطعه حران واستقر بها. ثم ان الظروف اجبرت مظفر الدين كوكبوري باعتباره في حماية الموصل ان يقاتل الى جانب جيوشها ضد صلاح الدين في صراعه مع الزنكيين في الفترة ما بين عام ٥٧٠هـ ١١٧٤م/١١٧٥م وعام ٥٧٨هـ ١١٨٢م، وخاصة في معركتي قرون حماة وتل السلطان كتابع اقطاعي[1].

ثم صادف أن استدعى سيف الدين غازي مجاهد الدين قايماز من اربل ليكون في خدمة دولته في الموصل في ذي الحجة عام ٥٧١هـ. واصبح هذا يتمتع بصلاحيات واسعة كنائب للقلعة ورئيس للجيش الزنكي بل يكاد ان يكون صاحب الكلمة في الموصل واملاكها وقد بلغ الأوج عام ٥٧٦هـ ١١٨٠م[2]. وهنا اعتقد مظفر الدين كوكبوري ان ذلك يعني نهايته لذا فعليه ان يخضع لقايماز ولكن بحذر شديد.

ولما آلت حلب الى سيادة الموصل تدخل قايماز الى جانب مبادلتها بسنجار كما مر، ولعله رأى أن بقاء حلب مع الموصل فيه قوة لعزالدين مسعود وهو لا يريده قوياً أمام نفوذه فانحاز الى جانب اتمام الصفقة المشار اليها سابقاً. فإذا كان مجاهد الدين قايماز لا يريد أن يرى شخصية قوية أمامه في امارة الموصل حتى ولو كانت

---

(١) ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص٥٢.

الحنبلي: (احمد بن ابراهيم) شفاء القلوب في مناقب بني ايوب تحقيق ناظم رشيد وزارة الثقافة والفنون العراقية عام ١٩٧٨م ص٩١.

رشيد الجميلي: دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين ص١٢٥/١٢٦.

Setton: Op. Cit. Vol. 1. P. 568.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١١ حوادث ٥٧٦هـ.

العيني: عقد الجمان مصدر سابق ج١٢ رقم ٦٠١ حوادث ٥٧٦هـ.

هذه الشخصية هي أميرها عزالدين مسعود؛ فمن باب أولى أنه لا يريد أن يرى شخصية مظفر الدين كوكبوري الذي طرده قايماز من اربل من قبل وهذا ما وعاه مظفر الدين نفسه، الأمر الذي دعاه الى العمل بجد ونشاط وبحذر ضد قايماز ومشـاريعـه. واستغل فرصة تعيينه والياً على حلب ورئيساً لديوانها عام ٥٧٧هـ ١١٨١م - ١١٨٢م من قبل عزالدين مسعود[١]، فأخذ يسعى الى توطيد نفوذه هناك وذلك بالاستيلاء على قلعة المدينة خاصة وأن عزالدين مسعود لم يستمر طويلاً في اقامته بالمدينة بل قرر العودة للموصل وتسليمه قيادة الجيش[٢].

إن اعتـماد عزالدين على مظفر الدين كوكبوري في حلب يبرهن لنا على ان مظفر الدين قد اصبح يعد من الأمراء العظام في الجيش الزنكي. ولكن مظفر الدين استغل هذه الثقة لتحقيق مجد شخصي له، وعمل على الاستيلاء على المدينة وفرض سيطرته على الجميع، ليصبح القوة الأولى وتتاح له الفرصة بعد ذلك ليثأر من مجاهد الدين قايماز عدوه القديم ورئيسه الجديد.

ولما سمع مظفر الدين بعزم عزالدين على مبادلة حلب بسنجار تحت ضغط من مجاهد الدين قايماز خاف ان تفلت الأمور من يديه[٣] وتذهب فرصة احلامه بالانتقام من قايماز خاصة وان قايماز رمى بثقله الى جانب اتمام هذه الصفقة. ولعل قايماز قد رأى هنا ان كوكبوري ربما يصبح قوة في حلب فعمل على اضعافه باتمام صفقة المبادلة ليحرمه من فرصته الذهبية، الامر الذي جعله يحاول السيطرة في حلب. أو لأن كوكبوري قد اعتقد ان عماد الدين زنكي سيستغنى عنه حالما يتسلم حلب مما دفعه للعمل الجاد للاستيلاء على المدينة بما يشبه الانقلاب العسكري وذلك قبل امضاء الصفقة مما يحرج الأخوين عزالدين مسعود صاحب الموصل وعماد

---

(١) عبدالقادر طليمات: مظفر الدين كوكبوري ص٧٧.

(٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٥ ص٢٠٤.

ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٠٩.

(٣) عبدالقادر طليمات: المرجع السابق

الدين زنكي صاحب سنجار[١].

ويقول ابن أبي طي الحلبي في هذا الصدد ما مؤداه إن مظفر الدين كوكبوري اقدم على محاولة الاستيلاء على حلب قبل ان تبدأ مفاوضات المبادلة بين الأخوين عزالدين وعماد الدين وبعد رحيل عزالدين عن حلب الى الموصل. وجعل ابن ابي طي هذا سبباً دفع الأخوين الى المضي قدماً في اتمام المبادلة[٢].

ولعل مظفر الدين كوكبوري رأى أن القلعة امنع مكان في المدينة فإذا استولى عليها تعزز موقفه واصبح لا يهمه أن يعلن عزالدين مسعود صاحب الموصل ومجاهد الدين قايماز نائبها عليه الحرب ما دامت القلعة في يده.

وازاء هذا الأمر، رسم مظفر الدين كوكبوري خطة للاستيلاء على القلعة تقوم على ان يصعد اليها بنفر قليل من جنده المخلصين لكي لا يثير الشك في نفس واليها واذا تسنى له دخولها بجنوده يصبح الأمر سهلاً فيُلقي القبض على الوالي ويعتقله ويزجه في السجن وبذلك تخضع له حاميتها وتصبح القلعة بحوزته وبعدها لن تستطيع أية قوة اخراجه منها لمناعتها وقوة اسوارها[٣].

ولكن ابن العديم[٤] يصور لنا فشل هذه الخطة وان الوالي قد شك في مسلك مظفر الدين كوكبوري وارسل يخبر عزالدين مسعود ومجاهد الدين قايماز بالأمر. وهنا عرف كوكبوري بفشل خطته الأكيد فأسرع الى نفي التهمة عن نفسه نفياً قاطعاً خوفاً من انتقام مجاهد الدين قايماز المتحفز لايقاع الضرر به. وتذرع بأنه ما ذهب الى القلعة إلا ليحتمي بها من الحشيشية (احدى فرق الشيعة وكانوا يدعون بالباطنية الذين اتخذوا الاغتيالات سلاحا هاما في ايديهم) الذين أنذروه بالقتل.

(١) عبدالقادر طليمات: المرجع السابق.
(٢) ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص٣٠.
(٣) عبدالقادر طليمات: مظفر الدين كوكبوري ص٨١.
(٤) عبدالقادر طليمات: مظفر الدين كوكبوري ص٨٢ نقلا عن ابن العديم مخطوط ج٢ لوحة ٢٠٠. وهذا لأني لم اتمكن من رؤية المخطوط.

ومهما قيل فإن هذا العمل قد احدث شرخاً في العلاقات ما بين عزالدين ومجاهد الدين قايماز من جهة، ومظفر الدين كوكبوري من جهة اخرى، على الرغم من تنازل عزالدين عن حلب لأخيه عماد الدين زنكي الثاني ومبادلتها بسنجار. على انه يجب ان يفهم جلياً ان مظفر الدين كوكبوري عاد بعد ذلك الى اقطاعه في حران كتابع اقطاعي للموصل. وكان عليه في نفس الوقت ان ينضم الى جانب صلاح الدين الأيوبي في صراعه مع الزنكيين وانه لا فائدة ترجى من بقائه في حران تحت سيادة الموصل وتحكم مجاهد الدين قايماز[1].

ولن نكون مغالين هنا اذا ما قلنا ان مظفر الدين كوكبوري لم يكن مندفعاً الى مساندة صلاح الدين في حروبه مع الزنكيين حباً بصلاح الدين بمقدار ما كان مندفعاً الى الانتقام من الموصل وقايماز نائبها الذي تصدى لطموحاته وخططه. وهكذا انحاز مظفر الدين بالكامل الى جانب صلاح الدين وشاركه حروبه ضد الزنكيين في الموصل وغيرها.

---

(١) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٥ ص٢٠٤-٢٠٥.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١١٦.

موقف قايماز من هجوم صلاح الدين على الموصل عامي ٥٧٨، ٥٨١هـ ١١٨٢-١١٨٣م -١١٨٥-١١٨٦م:

اخذ مظفر الدين يتصل بصلاح الدين الأيوبي نكاية بقايماز ويحرضه على التقدم للموصل وان المدينة تعاني من الضعف والفوضى ويسهل عليه احتلال المدينة. وارسل رسالة الى صلاح الدين يستحثه على الاسراع في عبور الفرات وابدى له في نفس الوقت استعداده التام لتقديم كل ما يمكنه لنصرته. وكان صلاح الدين آنذاك يحاصر بيروت الصليبية عام ٥٧٨هـ ١١٨٢-١١٨٣م، الأمر الذي ترتب عليه ترك المدينة والتقدم بسرعة نحو الجزيرة لاخضاع الموصل[1].

اقبل صلاح الدين مسرعاً صوب الفرات واجتمع بمظفر الدين كوكبوري في جياب التركمان قرب حلب[2]. وبعد الاتفاق على الخطة العسكرية المشتركة سار صلاح الدين عابراً الفرات واحتل عدة مواقع من ارض الجزيرة الفراتية. ولم تجد التحركات التي قام بها عز الدين مسعود ومجاهد الدين قايماز من الموصل الى دارا فتيلا على الرغم من انهما كانا يودان من وراء تلك التحركات ان يؤثرا على تحركات صلاح الدين. ولكنهما سرعان ما عادا الى الموصل حالما علما بتحرك صلاح الدين مخترقا الفرات الى ارض الجزيرة فالموصل، ليحافظا عليها من اطماعه[3].

واستطاع صلاح الدين الاطاحة بالرها رغم تحصيناتها القوية واقطعها الى حليفه مظفر الدين كوكبوري عدو الموصل اضافة الى ما بيده من الاقطاعات في حران[4]. ومعنى هذا ضربة لعز الدين مسعود ومجاهد الدين قايماز وتقوية لمركز

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٨٢-٤٨٣ حوادث ٥٧٨هـ
ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص٣٠ نقلا عن الاصفهاني.

Setton. Op cit Vol 1 P. 576.

(٢) ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص٣٠ عن ابن ابي طي.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١١٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٨٣ حوادث ٥٧٨هـ.

(٤) ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص٣٢.

خصمهما كوكبوري. وبعد ذلك استطاع اخضاع عدة مواقع تابعة للموصل مما جردها من تحصيناتها واصبح امر الاستيلاء عليها سهلاً وذلك في ١١ رجب عام ٥٧٨هـ، ١٠ نوفمبر عام ١١٨٢م[1].

وعقد صلاح الدين مجلسا عسكريا ليتداول امر الموصل وكانت الآراء تنحصر في رأيين رأي يدعو الى مهاجمة سنجار قبل الموصل والرأي الثاني بمهاجمة الموصل رأساً واذا ما سقطت فان سنجار وغيرها ستتهاوى امام ضربات الجيوش المحاربة. وهنا ظهرت عداوة مظفر الدين كوكبوري وانصاره واضحة للموصل عندما تبنوا الرأي القائل بمهاجمة الموصل اولاً مما جعل صلاح الدين يميل الى هذا الرأي وينفذ حصار الموصل[2]. ويشير المؤرخ ابن الأثير الى ان ناصر الدين محمد انضم الى كوكبوري ودفع اموالا ضخمة لصلاح الدين كالتزام شخصي وذلك ليقطعه الموصل بعد احتلالها مما جعله يستميت اثناء حصار المدينة[3].

وقد عهد عز الدين مسعود الى نائبه مجاهد الدين قايماز بالاشراف التام على الاستعدادات الدفاعية للموصل في وجه الحصار الايوبي، حيث قام قايماز بعدة اجراءات من شأنها تقوية هذه الدفاعات ورفع معنويات الجند فاخرج كثيراً من الاموال ووزعها عليهم ليحثهم على القتال بل الاستماتة في سبيل الموصل. وجلب

= ابن الاثير: الكامل ج١١ ص٤٨٣-٤٨٤ يقول الاحتلال في جمادى الاولى ٥٧٨هـ.
ابن شداد: الاعلاق الخطيرة ج٣ ق١ ص٩٦-٩٧.

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٥ ص٢٠٥.
اصطفان الدويهي: تاريخ الازمنة ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ٢٥٤ ورقة ٩٩ب يقول: ان صلاح الدين حاصر الموصل لأول مرة عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م وهذا خطأ.
ابو الفضايل الحموي: التاريخ المنصوري ص١٨٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٨٤-٤٨٦.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١١٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٨٤-٤٨٦.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١١٩.

مواد الحصار الحربية والاسلحة المتنوعة كما عمل على توفير الغذاء اللازم لئلا ترتفع الاسعار ويتحرج الموقف وذلك استعدادا لحصار طويل.

وبالاجمال عمل قايماز ما وسعه من جهد ليبقي جبهة الموصل صلبة متماسكة امـام حصار صلاح الدين، وليسود الانسجام التام بين عناصر السكان، الأمر الذي طمأن النفوس وهدأ الخواطر وجعل المدينة قلعة شامخة امام الحصار. ولم ينس قايماز في نفس الـوقت ان يشحن باقي المـدن التـابعة للموصل بالمقاتلة والعتاد وتزويدها بما يلزمها من مؤن وامتعة كجزيرة ابن عمر وسنجار واربل وغيرها(١).

وليحكم قايماز خطته العسكرية امر جنوده بعدم الخروج للقاء قوات صلاح الـدين خارج الأسـوار بل عليهم مناوشتها من خلف الأسوار باستمرار إلا إذا اقتضى الأمر الخروج كما حصل عندما نصب صلاح الدين منجنيقاً يقذف المدينة فاضطر رجال الموصل إلى الخروج بشكل قوة انتحارية دمرت المنجنيق الصلاحي واخـذت اجـزاءه وعادت الى مواقعها. كما اقيمت في داخل الأسوار ٩ مناجيق تقذف خارج الأسوار قوات صلاح الدين. ثم ان قايماز اتبع كل الأساليب الحربية المتاحة والممكنة. فاستعمل اسلوباً يقوم على ايهام العدو بهجوم مفاجيء وذلك انه أمر جماعة من جنوده من حاملي المشاعل الكبريتية بالخروج من باب السر الموجود في القلعة بالموصل الى دجلة القريبة ومعهم المشاعل ثم اطفائها في النهر، الأمر الذي كانت نتيجته ان خاف صلاح الدين واجبر على المبيت بعيداً عن الأسوار خوفاً من الهجوم المفاجيء (٢).

وكل هذه التدابير وغيرها ساعدت على افشال الحصار الأول للموصل فاضطر

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٨٥ مصدر سابق.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١١٩.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج١٢ رقم ٦٠١ حوادث ٥٧٨.
(٢) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٨٦.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٢١-١٢٢.

صلاح الـدين الى مغـادرة الموصل الى سنجار في ١٦شعبان عام ٥٧٨هـ /١٥ ديسمـبر ١١٨٢م[١]. وهكـذا نجحت خطة قايماز الدفاعية وفشل الحصار رغم فقـدان الموصل لكثير من المواقع التابعة لها. ولكن ما فشل به صلاح الدين في الموصل نجح فيه في سنجار حيث استطاع ان يبسط سيطرته على المدينة. ولكن رغم خسارة الموصل لسنجار ذلك الموقع الاستراتيجي الهام، إلا انها لم تقف مكتوفة الأيدي أمـام هذا الحدث بل بدأت الاتصالات بأمراء المنطقة لعلها تجد لديهم العون والدعم لتستطيع الوقوف أمام اطماع صلاح الدين الأيوبي.

والمهم فقد أسفرت هذه الاتصالات عن اقامة حلف بين الموصل وماردين وبدليس وارزن اثناء احتلال صلاح الدين لسنجار[٢]. ولم يستطع هذا التجمع المعادي لصلاح الدين فعل شيء يذكر أثناء تصديه لقوات صلاح الدين بالقرب من قرية «حَـرْزم» اذ سرعان ما تفرق المجتمعون حالما رأوا قوات صلاح الدين ولمسوا مدى استعدادها للقتال، وهنا ظهر تفوق صلاح الدين على قوات عزالدين مسعود ومجاهد الدين قايماز الموصلية وحلفائها، مما اسفر عنه احتلال مواقع جديدة من املاك الموصل[٣].

وكانت الضربة الموجهة للموصل بعنف هي احتلال صلاح الدين لحلب عام

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٨٧.
ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٢١٨-٢١٩.
ابو الفداء: المختصر ج٣ ص٦٥.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج٤ ص٢٥٩.
(٢) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٤٨٩.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٣٣.
(٣) ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص٥٨ تحقيق جمال الشيال.
الأيوبي: مضمار الحقائق ص١١٣-١١٤.

Setlon: Op. Cit Vol 1. P 577

S. L. Poole? Saladin P. 171-172

٥٧٩هـ/ ١١٨٣م وهذا معناه، فشل خطط مجاهد الدين قايماز العسكرية[١].

وقد تعرض مجاهد الدين قايماز في أواخر هذه السنة ٥٧٩هـ للاعتقال والسجن، ولم يطلق سراحه إلا أوائل عام ٥٨٠هـ ابريل ١١٨٤م، وذلك ليباشر مهمة الدفاع عن الموصل أمام حصار صلاح الدين الأيوبي الثاني[٢].

والمهم خرج قايماز من السجن وعاد الى مباشرة مهامه واسترد سلطته كاملة كما كانت قبل اعتقاله. ولكن نفسه لم تعد تطمئن للامراء الزنكيين أولياء نعمته واصبح الوضع مختلفاً عما كان عليه قبلا. فاربل وجزيرة ابن عمر قد انضمتا الى صفوف صلاح الدين[٣]، مما زاد في احراج موقف مجاهد الدين قايماز والموصل. وكانت قضية اربل وجزيرة ابن عمر الصخرة التي تحطمت عليها المفاوضات التي جرت بين صلاح الدين والموصل بشأن التوصل لصلح دائم بينهما ينهي الخلاف ويوحد الجهود المشتركة في وجه اعداء المنطقة[٤].

وفي الواقع كان اعتقال قايماز وسجنه سبباً رئيسياً في ارباك الجبهة الداخلية في الموصل واطمع صلاح الدين في نفس الوقت بمعاودة غزو الموصل وحاصرها من جديد[٥]، الأمر الذي دفع عزالدين أمير المدينة الى العفو عن قايماز والافراج عنه ليتدبر أمر صلاح الدين الأيوبي من جديد. وهذا الاعتقال دليل على عدم

---

(١) ابو الفداء: المختصر ج٣ ص٦٦.
ابن الوردي: تتمة المختصر ج٢ ص١٣٣.

Setton· Op. cit Vol. 1. P 578

(٢) سنفرد مكاناً خاصاً لاعتقال مجاهد الدين قايماز بعد الانتهاء من موقفه امام هجمات صلاح الدين الأيوبي على الموصل واملاكها في المنطقة.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٥٦.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ٦٠٢ حوادث ٥٧٩هـ.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٥٠٠-٥٠٢ ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٥٦.
سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ق١ ص٣٧٨.

(٥) العيني: عقد الجمان ج١٣ ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ٦٠٢ حوادث ٥٧٩هـ.

وضوح الرؤية والقصور في الدربة السياسية من جانب عزالدين مسعود ولولا تدخل البهلوان صاحب همذان والجبل الذي عز عليه أن يرى ضعف الموصل أمام صلاح الـدين الأيوبي فسعى الى اطـلاق سراح قايماز لدى عزالدين الذي وافق بدافع المصْلحة، لظل قايماز معتقلاً مدة طويلة.

والمهم ان مجاهد الدين قايماز عاد الى مباشرة مهامه السابقة حالما خرج من السجن دلالة على حاجة الموصل الى خدماته وجهوده. واخذ يرسم الخطط من جديد لردع العدوان والوقوف أمام صلاح الدين لاجباره على الاقلاع عن التفكير بحصار الموصل وغزوها من جديد.

خطة قايماز ضد صلاح الدين وطموحاته في الجزيرة والموصل عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤-١١٨٥م.

عاد قايماز يخطط لايقاف حصار الموصل من جديد من قبل صلاح الدين الذي اخذ الآن يكرس جهوده للاطاحة بإمارة الموصل وضمها الى سيادته بشتى السبل. وبدأ قايماز يفتش عن حلفاء جدد للموصل فسار بنفسه الى شمس الدين البهلوان صاحب الجبل وهمذان، الذي توسط له اثناء سجنه واطلق سراحه، والى اخيه قزل ارسلان، يطلب منهما النجدة والمساعدة.

واتصل اول الأمر بقزل ارسلان صاحب اذربيجان فاستقبله بالترحاب وأبدى له رغبة شديدة في مقاومة صلاح الدين الأيوبي، لدرجة أنه تعهد بتقديم كل عون ممكن وتعهد باخبار اخيه البهلوان والتنسيق معه في هذا الخصوص، وانه لا حاجة لاتصال قايماز به فهو يكفيه في هذا المجال. وجهز على الفور ثلاثة آلاف مقاتل سيرهم مع قايماز لتأديب اربل التي انحازت الى جانب صلاح الدين في صراعه مع الموصل، وقال لقايماز «ما تختاره أنا افعله»[1].

وقد اتبع جنود قايماز الجدد اسلوب الحرب الاقتصادية في هجومهم على اربل وذلك ليجبروها على الخضوع للموصل من جديد. فأفسدوا المزروعات ونهبوا الأموال وسبوا النساء واتبعوا اقصى درجات العنف مع السكان. ومع ذلك أبدى زين الدين يوسف اميرها بسالة نادرة واستطاع أن يصد هذه الهجمات الشرسة، ويحول دون تمكينها من تحقيق النصر[2].

كما مارس جنود قايماز وقزل اثناء الهجوم على اربل اسلوب التدمير والخراب وقاموا بعدة اعمال غير لائقة في حق النساء والاطفال والشيوخ وقد ندم قايماز على

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٥٠٤.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام مخطوط ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ١٢٦٨ ورقة ١٥٥ أ حوادث ٥٨٠هـ.

هذا العمل وكان كثيرا ما يؤنب نفسه ويقول: سأتلقى العقاب من الله جزاء لما فعله العجم باربل[1].

إن الاعتداء على اربل احد اعضاء المعسكر الصلاحي حرك كوامن الحقد في نفس صلاح الدين الأيوبي الذي كانت ظروفه آنذاك تسمح له بالتقدم نحو الموصل ومهاجمتها. وقد تشجع[2] عندما وصلته رسل اربل تبشره بالنصر على قايماز وحليفه، وذلك في ١٩ جمادى الآخرة عام ٥٨٠هـ/ ٢٧ سبتمبر عام ١١٨٤م[3].

وكانت ظروف عام ٥٨٠هـ ١١٨٤-١١٨٥م فيما يخص الصراع بين الموصل وصلاح الدين تسير في جهة صلاح الدين فقد استطاع في هذا العام ان يعقد اتفاقية مع امير طرابلس الصليبي[4] ليتفرغ للموصل، ثم ان رسل الخلافة

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٥٠٤.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام مخطوط جامعة الكويت رقم ١٢٦٨ ورقة ١٥٥أ.

SeTlon· Op Let Vol 1. P 580

(٣) ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص٦٧.

ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٦٤.

ابن كثير: ج١٢ ص٣١٥ البداية والنهاية ويقول ابن كثير: ان رسل صاحب اربل (زين الدين يوسف) قد وصلت دمشق اواخر عام ٥٨٠هـ مستنجدة بصلاح الدين في حين ان ابن شداد يقول: انها وصلت في ١٩ جمادى الثانية وهو اوثق لأنه معاصر للاحداث ولا مصلحة له في تزويرها لأنه موصلي ظل يخدم الموصل. ومن باب أولى أن ينحاز في كتاباته للموصل ولكن لم يفعل ولم ينحاز لأحد من الفريقين وقد شهد له بالنزاهة.

S. L Poole: Saladin P 192

(٤)

Jo'nathan. R. Smith : The Knight of the S. Jhon P. 85

Selton: op. cit Vol. 1 P. 582

S. L. Poole : Saladin P. 181

ومن المحتمل ان يعقد صلاح الدين هدنة مع امير طرابلس الصليبي ليتفرغ لهدفه الاول وهو اخضاع المنطقة واقامة الوحدة وبعد ذلك يتفرغ لمنازلة الصليبيين بالكامل.

العباسية قد وصلت دمشق للتوسط في الصراع وتسوية الخلافات وتوحيد الجهود. ولكن هذه المفاوضات لم تسفر عن احلال السلام المطلوب بسبب مرض الرسولين المرسلين من بغداد بل وموتهما في الطريق اثناء العودة بعد مرضهما قبل الوصول الى الرحبة(١) في طريقهما إلى بغداد.

ولكن مهما يكن من أمر فان صلاح الدين سار في مستهل عام ٥٨١هـ/ ٤ ابريل ١١٨٤م(٢) متوجهاً الى الموصل واستطاع ان يعبر الفرات بمجموعة وسيطر على عدة مواقع وتقدم نحو الموصل، ونزل بالاسماعيليات بقربها في ١١ ربيع أول ٥٨١هـ /١٢يونيو ١١٨٥م(٣).

وهناك وصلته قوات اربل كما ارسل بدوره رسلاً إلى بغداد ليخبر الخليفة العباسي بما عقد عليه العزم من السيطرة على الموصل(٤).

ولكن قايماز هو الآخر لم يقف مكتوف اليدين بل رتب العساكر وزودهم بالمال والسلاح ووفر لهم المؤن والذخائر استعدادا لحصار طويل مما جعل حصار صلاح الدين غير ذي جدوى. وقد ابدى رجال الموصل مقاومة كبيرة لصلاح الدين لدرجة انه فكر في قطع الماء عن المدينة ليجبر سكانها على الدخول في طاعته. وقد اكدت المصادر على ان صلاح الدين فكر فعلاً في تعطيش المدينة وتجويعها وانه احضر المهندسين ومنهم فخر الدين ابو شجاع البغدادي لدراسة امكانية تحويل مجرى دجلة. وقد اشار عليه اولئك المهندسون بامكانية التحويل ولكن حال دون ذلك

---

(١) الايوبي: مضمار الحقائق ص٢٠٠.
ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٥٩.

(٢) ابو شامة: كتاب الروضتين ج٢ ص٦١.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٦٥.

(٣) الأيوبي: مضمار الحقائق ص٢١٤.
المقريزي: السلوك ج١ ق١ ط١ ص٨٩.
S. L. Poole : Saladin P. 172

(٤) العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج١٣ رقم ٦٠٢ حوادث ٥٨١.

ارتفاع التكاليف وطول المدة اللازمة لذلك التحويل[1].

وفي نهاية ربيع الآخر عام ٥٨٠هـ ٣٠ يوليو ١١٨٥م رحل صلاح الدين عن الموصل لتطور الاحداث في مناطق اخرى من ارض الجزيرة الفراتية فإن الخلاف على حكم خلاط احدى مدن الجزيرة من ديار بكر استدعاه الى الحضور فسار مسرعاً[2] وقام بعدة عمليات ناجحة في تلك النواحي ولكنها لم تكن بمقدار الطموح الشخصي لصلاح الدين. فقرر العودة لحصار الموصل للمرة الثالثة. ولكن جهود صلاح الدين وحلفائه ايضاً فشلت في هذه المرة ولم يستطع دخول المدينة واضطر ان يفك الحصار ويغادر المدينة متأثرا بمرضه. ولكن الاحداث تطورت واتجهت وجهة اخرى في الموصل فقد سعى رجالها الى الصلح ايماناً منهم ان الفرقة والنزاع سيتيح للعدو النصر، وعليهم التحالف مع صلاح الدين الذي يمثل طموحات المسلمين في مقارعة العدوان الصليبي. وقد اثمر هذا السعي توقيع صلح حران بين الطرفين في ٩ ذي الحجة عام ٥٨١هـ/ ٢ مارس ١١٨٦م[3].

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٥١٣.
ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٠.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٦٧.
الحنبلي: شفاء القلوب ص١١٤ ويصف اهل الموصل قائلا: وخرج اليه (صلاح الدين) اهلها (الموصل) اجمعون فقاتلوه وظهروا عليه وكانوا يخرجون اليه عراة ولكن هؤلاء العراة صمدوا امام صلاح الدين.

(٢) شاهنشاه بن ايوب: منتخبات من تاريخ صاحب حماة ص٢٨٦.
سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ق١ ص٣٨٣.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٢ ص١٦٨.
الذهبي: تاريخ الاسلام مخطوط جامعة الكويت رقم ١٢٦٨ ورقة ١٥٥ ب حوادث ٥٨١هـ.

(٣) ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص٧٠.
الحموي (ابو الفضايل): التاريخ المنصوري ص١٨٩ ويقول: تمَّ الصلح عام ٥٨٢هـ = والأصح اواخر عام ٥٨١هـ في ٩ ذي الحجة.

وكان على رأس الساعين الى الصلح في الموصل مجاهد الدين قايماز ولعله تأكد من ان صلاح الدين لا بد من أن ينتصر في صراعه مع الموصل خاصة وأنه عرف مطالب المسلمين الملحة في اقامة الوحدة الاسلامية لمنازلة الصليبيين وما عليه وعلى الموصل الآن إلا الانضمام لصفوف صلاح الدين حتى لا يصبح معزولاً عن الركب الاسلامي، الأمر الذي يفسر حصول الانقلاب في موقف الموصل اكثر من ذي قبل.

وهكذا ظل قايماز يقوم بواجبه ويسير الاحداث في الموصل حتى تبعت هذه إلى سيادة صلاح الدين الايوبي وانضوت تحت لوائه المرتفع في مقاومة العدوان الصليبي. وانصرف مجاهد الدين بعد ذلك الى اعماله العمرانية واصلاحاته الاجتماعية والخيرية فمن هذا القبيل ما اقامه من منشآت عمرانية في الموصل. وزيادة على ذلك بدأ يتدخل في مجريات الامور في المنطقة فقد اصلح ذات البين عندما شبت الفتنة بين الاكراد والتركمان عام ٥٨١هـ ١١٨٥-١١٨٦م[1].

Selton . op Cit. Vol 1 P. 580

Stevenson: The Crusaders P. 239

S. L Poole . Saladin. P. 193

=

(١) ابن الأثير: الكامل ج١١ ص٥١٩.

قايماز ونور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل ٥٨٩هـ - ٦٠٧هـ/ ١١٩٣- ١٢١٠م/ ١٢١١م.

ظل مجاهد الدين قايماز بعد خروجه من السجن ٥٨٠هـ ١١٨٤-١١٨٥م يقدم الخدمات للموصل أيام عزالدين مسعود صاحبها حتى ٢٧ صفر عام ٥٨٩هـ ٤ مارس ١١٩٣م حيث توفي صلاح الدين الايوبي بدمشق فتطلع قايماز الى ان تستعيد الموصل زعامتها بعد ان خضعت لصلاح الدين من جديد. وكان هناك اتجاهان أمام الموصل وعليها ان تسير في احدهما؛ فالأول، يقضي بأن تسرع الموصل الى احتلال البلاد الجزرية التي خرجت عن طاعتها ويقول به جماعة من أعيان الموصل وعلى رأسهم مجد الدين بن الأثير[1] أخ عزالدين بن الأثير صاحب الكامل في التاريخ بينما يقضي الاتجاه الثاني بالتريث وان تعمد الموصل الى مكاتبة الاطراف التابعة لها والمجاورة لاراضيها لتعمل سوياً لاستعادة املاك الموصل في المنطقة ويتبنى هذا الاتجاه مجاهد الدين قايماز[2].

ودافع مجد الدين بن الأثير عن وجهة نظره بشدة وابان أن امراء الاطراف المقصودين هم: مظفر الدين كوكبوري، عماد الدين صاحب سنجار، ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر. وهؤلاء لا يتمنون الخير للموصل ولمجاهد الدين قايماز نفسه. ولا يمكنهم الانضمام الى القوات الموصلية المقاتلة والعمل بانسجام تام معها. ثم ان عزالدين صاحب الموصل لو تقدم بسرعة بجيوشه نحو المواقع الجزرية وكتب لهم بضرورة الدخول في طاعته ربما اطاعوه لخوفهم من قوته أما ان ينتظر موافقتهم المسبقة ثم ينتظر قدومهم اليه بعد ذلك فان هذا ليس برأي سليم. الأمر الذي أثار غضب مجاهد الدين قايماز فسكت عند ذلك مجد الدين

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٨٥.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٣ ص١٧.
(٢) ابن الأثير: الباهر ص١٨٥.
ابن واصل: مفرج الكروب ج٣ ص١٧.

ابن الأثير صاحب الرأي لأنه لا يريد أن ينشب الخلاف بينه وبين قايماز الذي لا يزال صاحب الرأي في الموصل[1].

وهنا أصر مجاهد الدين قايماز على موقفه وتمسك برأيه. ونظراً لما يتمتع به من السلطة آنذاك وافقه الجميع ومنهم امير الموصل عزالدين مسعود. وبدأت المراسلات بين الموصل وامراء الاطراف وفق الخطة المرسومة. وقد استمرت هذه المراسلات مدة طويلة دون جدوى اذ لم يستجب سوى عماد الدين امير سنجار للقتال بجانب قوات الموصل[2].

ثم تطورت الاحداث في الموصل اثر مرض عزالدين مسعود بينما كان يقود قواته لمقاتلة الجيوش الايوبية في تل موزن فأصبح عماد الدين زنكي الثاني شقيقه يلي قيادة القوات الموصلية المقاتلة[3].

---

(١) ابن الأثير: ا لباهر ص١٨٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص١٠٠-١٠١.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص١٠١ الباهر ص١٨٦، ويختلف زمن الوفاة ففي الكامل ٢٩ شعبان وفي الباهر ٢٧ شعبان.

دور قايماز في تولية نور الدين ارسلان شاه امارة الموصل:

أثناء مرض عزالدين مسعود، كتب وصية تقضي بأن يتولى الحكم بعده ولده نور الـدين ارسـلان شاه وذلـك بتحـريض من مجاهـد الدين قايماز الذي كان يرافقه(١). ولكن الأمور لم تسر كما أريد لها في الموصل، فلما وصل عزالدين المريض الموصل ارسل اليه أخوه يطالبه بولاية العهد بدلاً من ولده نور الدين. وتدخلت في الأمر والدة عزالدين مسعود وارسلت اليه تحبب له فكرة اخيه شرف الدين. ولم تنتظر هذه المرأة جواب ولدها بل جمعت ما قدرت عليه من الجيش واخذت تهدد به عزالدين مسعود المريض بالانتقام ان هو لم يستجب لطلب أخيه. ووصل الأمر بشرف الدين الى ان هدد الجميع وقال: «ان احداً لا يقدر يملك الموصل معه» ظناً منه ان الامور تسير في صالحه وتنقاد اليه مستغلاً مرض أخيه(٢).

وكان نور الدين ارسلان شاه يبلغ من العمر عشرين عاماً ولجهله في شؤون الحكم ظن هو الآخر ان الكفة سترجح الى جانب عمه شرف الدين بسهولة وأنه سيفقـد الحكم بالقوة، الأمر الذي جعله يتقاعس ويحجم عن فعل شيء يدفع بالأمور لصالحه(٣).

ان حماس شرف الـدين وحركته لاستلام الحكم مرده الى ان الملك العادل الايوبي كان قد نزل نصيبين ليقابل قوات الموصل واحلافها بقيادة عماد الدين زنكي الثاني واعلن شرف الدين انه سينضم للعادل ان لم تستجب طلباته بالاضافة الى انه اكبر من نور الدين ارسلان شاه(٤).

وللحقيقة كان مجاهد الدين قايماز حتى هذا الوقت مترددا ولم يتدخل بشكل حاسم الى جانب شرف الدين او نور الدين، الامر الذي ازعج عزالدين المريض

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٨٩.
(٢) ابن الأثير: الباهر ص١٨٩.
(٣) ابن الأثير: الباهر ص١٨٩.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص١٨٩.

ودفعه الى حثه للاسراع في تحليف الناس لولده نور الدين ارسلان شاه غير عابىء بما حصل من والدته واخيه، وقال له «اخاف ان اموت وليس لكم ملك مستقل بالملك والعادل في البلاد فيحدث ضرر لا يمكن تلافيه»[1].

ولكن مجاهد الدين قايماز لم يستجب لهذا القول بسرعة وذلك خوفاً من الفتنة لأنه كان يعتقد باستعداد شرف الدين لاستعمال القوة وكان هو في هذه المرحلة يؤثر السلامة. ثم انه اراد ان يحسم الأمر بالطرق السلمية فارسل الى شرف الدين واشار عليه بأن يحلف لابن اخيه ويدخل في طاعته ووعده بأن يضمن له زيادة في الاقطاع ولكن شرف الدين لم يستجب لهذه المشورة واخذ يوجه التهديد والوعيد لقايماز وعزالدين ونور الدين مما اضطر معه مجاهد الدين الى ايقاف عملية تحليف الامر لشرف الدين[2].

ولم يركن نور الدين للاحداث بل ارسل في هذه الاثناء الى مجد الدين بن الاثير مستشار الامارة يحثه على التدخل لدى قايماز للاسراع في عملية التحليف وحسم الامور بسرعة الى جانبه[3]. وليشجعه على المضي في هذا الشأن ارسل اليه خاتمه فرد ابن الاثير الخاتم قائلا[4] «خاتم المولى انما يعطى على البلاد واما هذا الامر اليسير فهو احقر من ان يؤخذ عليه خاتمه واما ما رسمت به فانا مشدود الوسط فيه ولا يشكرني المولى على هذا».

المهم اظهر مجد الدين استعداده للعمل لصالح نور الدين واعتبر نفسه جندياً في خدمته وخدمة والده المريض وذهب الى مجاهد الدين قايماز واجتمع به وحثه على الاسراع وحسم الموقف لصالح نور الدين ارسلان شاه وقال[5]: «هذا شرف الدين

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٩٠.

(٢) ابن الأثير: الباهر ص١٩٠.

(٣) ابن الأثير: الباهر ص١٩٠.

(٤) ابن الأثير: الباهر ص١٩٠.

(٥) ابن الأثير: الباهر ص١٩٠ والعادل الأيوبي الطامع بالموصل موجود في نصيبين وأعمالها.

يريد الفتنة والمولى عزالدين يريد ولده، والعادل بنصيبين والفتنة قد رفعت رأسها».

وبينما هما يتداولان هذا الامر واذا برسول عزالدين مسعود الى مجاهد الدين قايماز قد حضر وأخبره بأن سيده قد ضجر من هذه الفوضى والموقف المتخاذل الذي يقفه وعليه الاسراع في تحليف الناس لنور الدين ارسلان، وعليه كذلك الا يتلكأ لأن الموقف لا يحتمل التأخير ونقل الرسول على لسان عزالدين[1]: «قد ضجرت مما اقول لك لتحلف الناس الى ولدي وانت تهمل الأمر والعدو بالقرب منكم وانتم بغير سلطان وأنا فما أظن أنني اعيش يوما آخر فما تنتظر».

وبعد ان عرف مجاهد الدين قصد عزالدين بدأ وبحضور الرسول يشكو بلواه لابن الأثير الا ان هذا ألح عليه بأن يستغل نفوذه وحنكته السياسية الى جانب نور الدين لميله اليه. ثم بدأ ابن الأثير يبين لقايماز سهولة الوقوف بالقوة امام شرف الدين اذا ما حاول استغلالها والتحرك ضد نور الدين. ثم ان عملية التأخير ليست في صالح نور الدين بمقدار ما هي في صالح شرف الدين لأن الناس سينظرون الى التأخير على انه نقص في جانب نور الدين نفسه[2].

وهنا تأكد قايماز انه لا بد من العمل السريع الحازم فارسل الى الامراء وارباب المناصب والمقدمين واعيان البلد وحلفهم لنور الدين ارسلان شاه واعلنوا بيعتهم له بالعرش ثم تبعهم باقي فئات المجتمع كالمشايخ وعرفاء الاسواق وغيرهم[3].

وازاء هذا العمل الجاد تفرق اصحاب شرف الدين عنه مما اضطره الى ان يرسل الى مجاهد الدين قايماز يعاتبه على خذلانه وعدم مساندته. وكان رد قايماز عليه انه توخى من عمله خدمة قضية الزنكيين جميعاً حفاظاً على وحدة الكلمة

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٩٠.

(٢) ابن الأثير: الباهر ص١٩٠.

(٣) ابن الأثير: الباهر ص١٩٠.

العمري: منهل الاولياء تحقيق ونشر سعيد الديوه جي مطبعة الجمهورية الموصل عام ١٣٨٦هـ /١٩٦٧م ص١١٩.

وتضافر الجهود وما على شرف الدين إلا ان يؤيد هذه الخطوة المباركة ويبايع نور الدين[1].

وبعد ذلك اركب قايماز نور الدين وسار به في موكب الى والده المريض وحمل السنجق[2] على رأسه. ومشى قايماز في ركابه راجلاً وقد حمل الغاشية[3]. وقد سر عزالدين من هذا العمل سروراً عظيماً ولكن الاجل لم يمهله ليرى ثماره وينعم برؤية ولده حاكماً على الموصل فتوفي بعد يومين من انتخابه. وهكذا اصبح نور الدين اميراً على الموصل ولم يحدث ما يعكر صفو تلك المناسبة. واستمر قايماز يسيّر الأمور في بداية حكمه حتى توفاه الله عام ٥٩٥هـ. ١١٩٨-١١٩٩م.

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٩٠-١٩١.

(٢) راية صفراء واصبح رفع السنجق على الرأس سنة أيام سيف الدين غازي الأول أتابك الموصل وكان من رسوم الملك في مصر الايوبية والمملوكية. الشيال: حاشية مفرج الكروب ١١٧/١.

(٣) الغاشية: سرج من اديم مخروز بالذهب يخالها الناظر من الذهب تحمل بين يدي السلطان عند الركوب وفي الحفلات والاعياد في الميادين يحملها احد الركاب راية يلقفها يمينا وشمالا. القلقشندي: صبح الاعشى ٧/٤.

دور مجاهد الدين قايماز في الدفاع عن مصالح الموصل زمن نور الدين ارسلان شاه .

استمر قايماز يوجه دفة السياسة في الموصل نائباً لنور الدين ارسلان شاه طيـ ما تبقى من حياته . وكان يتصدى للاعداء الطامعين بكل ما أوتي من قوة مادـ وعسكرية ودبلوماسية . وصادف في عام ٥٩٤هـ ١١٩٧-١١٩٨م ان استولى نو الدين على نصيبين وكانت تحت سيطرة ابن عمه قطب الدين محمد .

ويعود السبب في ذلك الى ان عماد الدين زنكي الثاني والد قطب الدين محمـ كان يسيطر على نصيبين وصادف ان اعتدى عماله على بعض القرى العائدة ـ ملكيتها للموصل . فلما بلغ هذا الخبر مسامع مجاهد الدين قايماز اسره في نفسه و يشأ ان يزعج نور الدين به وكتمه . وذلك راجع الى ان مجاهد الدين يعرف حـ طبع نور الدين وقلة صبره في مثل هذه المواقف ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانـ فان قايماز نفسه كان حريصاً على ان لا يحدث الخلاف بين الموصل ونصيبين أ بين نور الدين وعماد الدين زنكي[1] .

واخذ قايماز في نفس الوقت على عاتقه اصلاح الامور فارسل رسولاً من لد الى عماد الدين زنكي يقبح ما فعله عماله ، ويخبره ان قايماز تصرف في هذا الا على مسؤوليته وسراً عن نور الدين ارسلان شاه وان هذا لو عرف حقيقة الأمر فلر يحصل ما لا تحمد عقباه ولا ينفع عند ذلك تدخل قايماز او غيره[2] .

ولكن عماد الـدين زنكي رد رداً خيب آمال قايماز في أن تحل المسألة سلمـ وأغضبه في نفس الوقت الأمر الذي اضطر معه الى اخبار نور الدين . وكان مما ر به عماد الدين «انهم (عماله) لم يفعلوا الا ما أمرتهم به وهذه القرى من أعمال نصيبين»[3] .

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص١٣٣ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص١٣٣ .

(٣) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص١٣٣ .

ومــع ذلــك لم يتـطرق اليأس الى قلب قايماز وسـار ثانية في طريق الحـل الدبلوماسي فارسل الى عماد الدين زنكي ولكن دون جدوى. وهنا أخذ قايماز يحث نور الدين على التدخل السريع وحسم الموقف لصالحه خوفاً من ان يطمع باقي الأمراء في املاك الموصل.

لجأ نور الـدين بدوره إلى الاسلوب الدبلوماسي وقبل ان ينفد صبره ارسل رسولاً لعماد الدين زنكي الثاني ولكن دون فائدة بل بالعكس اعتبر عماد الدين ان تردد رسـل قايماز ونور الدين يحمل معنى واحداً وهو ضعف الموصل العسكري وعدم قدرتها على استعمال القوة مما جعله يسلك سلوكاً متشدداً في هذا السبيل. وتمادى لدرجة انه تجرأ على رسول نور الدين وذمه وذم سيده. وازاء هذا الموقف لجأ نور الدين الى وضع خطة جريئة تقضي الاطاحة بنصيبين كقوة في المنطقة وادخالها تحت سيطرة الموصل وسيادتها.

وشاءت الاقدار ان يتوفى عماد الدين زنكي الثاني وتؤول امارته الى ولده قطب الدين محمد مما دفع نور الدين الى الاسراع في منازلته مستغلاً الظروف المتجددة. ولكن قايماز تدخل الآن وطلب منه عدم منازلته حفاظاً على الوحدة وكسباً لود الامير الجديد امام الآخرين. إلا أن نور الدين رفض طلبه واستمر في تنفيذ مخططه وسار على رأس قواته الى نصيبين.

ولما عرف قطب الدين محمد بهذا وان نور الدين في طريقه الى نصيبين وكان في سنجار اسرع الى نصيبين واتخذ عدة اجراءات دفاعية ولكن لم يفلح امام نور الدين الذي سيطر على المدينة والحقها بسيادة الموصل من جديد[1].

ولكن قوات الموصل لم تستطع الاستفادة من هذا النصر وفرض السيطرة على نصيبين ومنطقتها لفترة طويلة بل عادت الى الموصل في رمضان عام ٥٩٤هـ دون أن تتمكن من جني ثمار نصرها. ولعل مرد ذلك بالدرجة الاولى الى ظهور العادل

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص١٣٤.

الايوبي في البلاد الجزرية القريبة من نصيبين. هذا بالاضافة الى ما اصاب قوات الموصل من الامراض والويلات اثناء قدومها الامر الذي اتاح الفرصة امام قطب الدين محمد ومكنه من التمرد على الموصل واسترداد مدينته ثانية[1].

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص١٣٤.

انجازات مجاهد الدين قايماز:

لا شك أن شخصية الفرد هي التي تحدد انجازاته الى حد كبير فان كانت شخصية خيرة محبة للعمران متفتحة للحياة على شيء من الدربة السياسية تستطيع ان تنجز انجازات حضارية كثيرة.

ومن هذا النوع من الرجال كان مجاهد الدين قايماز نائب الموصل فقد ذكرت المصادر المتوفرة انه كان شخصية تتمتع بقدر كبير من التفتح السياسي وحب الخير والرغبة في اسعاد المجتمع فابن الأثير يصفه(١): «بأنه كان عاقلاً ديناً خيراً فاضلاً يعلم الفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه». وابن الساعي(٢) يشير الى انه «كان عاقلاً ديناً خيراً فاضلاً يعرف شيئاً من الفقه الشافعي ويحفظ من الشواهد والاشعار والحكايات شيئاً كثيراً، وكان كثير الصوم» بينما يذكر ابن كثير(٣) بأنه «كان ديناً خيراً على مذهب الحنفية كثير الصيام والقيام في الليل يذاكر في الأدب والاشعار والفقه».

وذكر ابن خلكان(٤) بانه «كان كثير الخير والصلاح بنى عدة ابنية في اربل والموصل وغيرها وله شيء كثير من وجوه البر ومدحه الشعراء». وابن واصل(٥) اشار الى انه «كان ديناً عادلاً وهو الذي ينسب اليه الجامع المجاهدي بظاهر الموصل». وصاحب النجوم الزاهرة(٦) اشار الى انه اشتهر بالدين والصلاح والتعبد والكرم ويطري بما يتصدق به يومياً غير ما التزم بدفعه من الرواتب للعباد.

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٢ حوادث ٥٩٥هـ ج١١ ص٤٣٤.
ابن الأثير: الباهر ص١٩٣.
(٢) ابن الساعي: الجامع المختصر ج٩ ص٨.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص٢٩٦.
(٤) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٢-٨٣.
(٥) ابن واصل: مفرج الكروب ج٣ ص١٠٣.
(٦) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ج٦ ص١٤٤.

ولا ينسى ابن المستوفي[1] ان يشير الى انه كان دينا صالحاً كريماً كثير الصدقات ولم يدع بالموصل بيتاً فقيراً الا اغناه بما قدمه له من أموال وعطايا.

ومن خلال هذه الأقوال يبرز لنا اجماعها لاسيما المعاصرة منها على ان قايماز كان من الشخصيات الفذة المحبة للخير واقامة العدل وهذا يقتضي ان يكون من رجال العلم والعمران لتخليد ذكراه. لذا قام بعدة اعمال خلدت ذكره للآن. ولم يقتصر على الأعمال العمرانية وحدها بل شجع الحركة العلمية واتجه الى النواحي الاجتماعية وشؤون الحكم والسياسة وغيرها. واقام عدة مبان داخل الموصل وخارجها خلدت ذكره وبقيت للآن تشهد له بالمركز المرموق والسمعة الطيبة.

---

(١) ابن المستوفي: تاريخ اربل ج٢ ص٢٤ ترجمة ١٤.

الناحية العمرانية :

بعد ان تسلم قايماز شؤون الحكم في اربل نائباً عن زين الدين علي كوجك في ٥ رمضان عام ٥٥٩هـ، أخذ يسعى الى اقامة العدل ونشر الأمن واقامة المنشآت العمرانية فبنى مدرسة في اربل عرفت بالمدرسة المجاهدية(١)، اوقف عليها الاوقاف الكثيرة ليضمن استمرارها في اداء رسالتها العلمية على الوجه الأكمل. واشهر من مارس عملية التعليم فيها الفقيه عمر بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان الاربلي المتوفى عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م ١٢١٣م(٢).

ولم يكتف مجاهد الدين قايماز بمدرسة اربل بل اقام خانقاه للصوفية واهل العلم ووظف عليها الاوقاف الكثيرة واصبحت هذه تقوم بممارسة التعليم شأنها شأن المدارس بالاضافة الى ما تقدمه من خدمات اجتماعية كغيرها من المؤسسات الانسانية(٣).

وأقام بركة في وسط اربل وزرع حولها البساتين والمزروعات الكثيرة فأصبحت نجمة ساطعة وسط بساط مخملي اخضر. وقد ألهب منظرها عواطف الشعراء فصاغوا اشعاراً في وصفها تمتاز بالرقة وحسن الأداء. ومن هؤلاء الشعراء أبو حفص عمر بن شماس الخزرجي المتوفى في حدود عام ٦٠٠هـ ١٢٠٣- ١٢٠٤م الذي ترجم مشاعره شعراً رقيقاً نقتطف منه :

ونيلوفرٌ مثلُ النجومِ ببركةٍ　　كلونِ السماءِ وهي من خصر عذبِ

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص٨٢.
محسن محمد حسين : اربل في العهد الاتابكي ص٢٤٩ .
سعيد الديوه جي : الموصل في العهد الاتابكي ص١٣١ .
سعيد الديوه جي : جوامع الموصل في مختلف العصور بغداد مطبعة شفيق ص٥٦ .
(٢) الأسنوي : طبقات الشافعية. وزارة الاوقاف. بغداد. ج١ ص٤٩٥ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٤ ص٨٢.
ابن المستوفى : تاريخ اربل القسم الاول طبعة عام ١٩٨٠م. ص١٩١ تحقيق سامي الصقار=

يميل مع الشمس المنيرة مثلما — تميل عيون العاشقين مع الحب
فانْ هي غابت نكس الرأس وجمة — لها وانكسارا فعلة الدنف الصب
ولو كان يدري انه غرس مالك — تدين له الاملاك في الشرق والغرب
لمال اليه إذهو الشمس في الدنا — ولم يخش من فصم ولم يخش من قضب
فتى غادر البستان باربل — وكانت قديماً معطش الايم والضب(1)

ولكن قايماز لما انتقل الى الموصل عام ٥٧١هـ ١١٧٥-١١٧٦م، وتولى نيابتها وتمكن من الأمور بدأ يعمل على تخليد ذكراه وانصرف الى اقامة المباني العمرانية وانشأ مجمعاً عمرانياً ضخماً في المدينة يعتبر مفخرة لقايماز ودليلاً على حبه للعمران والعلم والعلماء واشادة برعايته للمجتمع.

وعلى العموم بدأ قايماز يعمل على توجيه الانظار اليه فقام بانشاء مؤسسات الخدمة الاجتماعية والرعاية الصحية والخدمة العلمية. وترك آثاراً جليلة تشهد بعظمته وعلو كعبه وسماحة شخصيته.

ففي عام ٥٧٢هـ ١١٧٦-١١٧٧م بنى في ظاهر الموصل جامعاً كبيراً وخانقاه وبيمارستانا ومدرسة ورباطا وهذا ما اشرنا اليه سابقاً ونعتناه بالمجمع العمراني(2). ثم اوجد مؤسسة لرعاية الايتام حيث تسجل اسماءهم وتشرف عليهم وتقدم لهم

= ويقول: ان ابا الفضل الطبري المتوفى عام ٥٩٥هـ نزل خانقاه قايماز باربل وسمع عليه الحديث بها كذلك عمر ابن خلكان المتوفى عام ٦٠٩هـ وكذلك ابا الفوارس القزويني. انظر المستوفي: تاريخ اربل ص٤٢٩ ص٢٨٣.

(١) ابن المستوفي: تاريخ اربل ج١ ص٩٥-٩٧.

(٢) ابن الأثير: الباهر ص١٧٧.
ابن المستوفي: تاريخ اربل ج٢ ص٢٤ ترجمة ١٤.
المنذري: التكملة لوفيات النقلة مجلد ٢ تحقيق بشار عواد معروف مطبعة الاداب النجف العراق ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م ص١٥٨.
سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ق١ ص٣٣٨ ويضيف ان قايماز بنى تربة
ابو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع ط١ ص١٤ نشر عزة العطار.
ابن الساعي: الجامع المختصر ج٩ ص٨ ويزيد ان قايماز بنى الخانات على الطرق للسابلة=

الدعم والعون والرعاية الكاملة، وبذلك تسهم في ازالة اثار البؤس والشقاء وهم اليتم وتأخذ بأيديهم في مضمار التقدم الى الامام [1].

ولم يكتف قايماز بهذه المؤسسات بل التفت الى غيرها فاهتم بشق الطرق واقامة الجسور واهمها جسر على شط الموصل ودجلة[2]. الامر الذي شجع حركة التنقل والمواصلات بين الموصل واعمالها شرق دجلة، كما جلب الراحة للمواطنين مما ألهج ألسنتهم بالثناء على قايماز ونعتوه بافضل الاوصاف واكرمها.

ولم ينس قايماز ان ينشىء اسواقاً للبيع والشراء فأقام قيسارية في سوق الموصل للتجارة. وقد وصفها ابن جبير[3] اثناء زيارته للموصل اصدق وصف واجمله فقال «كأنها الخان العظيم تنغلق عليها الأبواب الحديد وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض قد جلى ذلك كله في اعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له. فما أرى في البلاد قيسارية تعدلها».

وبهذا اصبح قايماز الشخصية الاولى في الموصل وذاع صيته في الجزيرة وقصده الفقهاء والمعوزون والشعراء ومدحوه طمعاً في نيل عطاياه وهباته وعلى رأسهم يتربع الشاعر حيص بيص.

= والقناطر واوقف على ذلك الاوقاف الكثيرة.

ابن جبير: رحلة ابن جبيرطبعة بيروت دار صادر ص٢١٠ وقد وصف حامع قايماز في الموصل قائلا: «للبلد ربض كبير فيه المساجد والحمامات الخانات والاسواق واحدث فيه بعض امراء البلدة وكان يعرف بمجاهد الدين قايماز جامعا على شط دجلة ما ارى وضع جامع احفل منه بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه وكل ذلك نقش في الاجر. وأما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ويطيف به شبابيك حديد تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد اشرف منها ولا احسن ووصفه يطول وامامه مارستان حفيل من بناء مجاهد الدين قايماز.

سعيد الديوه جي: جوامع الموصل في مختلف العصور ص٥٥-٧٢ مطبعة شفيق بغداد.

(١) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٣.

(٢) داود جلبي: مخطوطات الموصل ص٨.

ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٣.

(٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير ص٢١٠.

شخصية مجاهد الدين قايماز:

يعتبر الشاعر مرآة عصره تنعكس من خلالها افكار المجتمع وطموحاته والشعراء هم اصدق من يصور لنا صورة ما يجري في المجتمع بحس صادق وشعور مرهف دون تكلف في معظم الأحيان.

وبالنسبة لشخصية مجاهد الدين قايماز فقد كانت محبوبة في الموصل والجزيرة، قريبة من النفوس نظراً لما يتمتع به من مركز مرموق في الموصل ولما قام به من اعمال انسانية وعمرانية وعلمية يشهد له بها الجميع وفي مقدمتهم الشعراء الذين اتصلوا به ومدحوه إما اعجابا بشخصيته او طمعاً في نيل عطائه الكثير، ومنهم ابو الفوارس الحيص بيص الذي مدحه بقصيدة نجتزىء منها:

اذا بحار الارض جاشت واجلبت ... غوارب تلقى كل لج بهوجل
مجاهد دين الله حامي حريمه ... بسيفين من عزم طرير ومنصل
اذا الجحفل الجرار ذل عن العدى ... رماهم من الرأي الزنيق بجحفل
كأن الكماة الدارعين لدى الوغى ... وقيماز يردي اخراً بعد اول
اذا نشبت في الدارعين رماحه ... تسرف بجياش الينابيع اشكل
تبيت رعاياه من الامن والندى ... عن الخوف والجدب الشنيع بمعزل
سرى ذكره في الخير حتى كأنما ... كسا الارض والافاق عبقه مندل
فاجبته حتى لهجت بذكره ... وكنت بمدحي فيه كالمتغزل
ومن جعل الاحسان دأباً فحمده ... وتعزيزه فرض على كل مقول[1]

اما سبط بن التعاويذي[2] فمدحه بقصيدة منها:

(١) الحيص بيص: ديوان الحيص بيص ج٣ تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر وزارة الاعلام العراقية سلسلة كتب التراث رقم ٣٤ عام ١٩٧٥م ص٣١٨-٣٢٠.

(٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٣.
ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٧ ص٣١٧.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج٤ ص٨٣.

عليلُ الشوق فيك متى يصح　　　وسكران بحبك كيف يصحو
وبين القلب والسلوان حرب　　　وبين الجفن والعبرات صلح

وهي من القصائد المختارة، ارسلها الى قايماز في الموصل من بغداد فارسل اليه قايماز بالهدايا ومنها بغلة. ولكن هذه البغلة هزلت واصبحت لا تقوى على المسير والوصول الى بغداد، فكتب اليه مرة أخرى يشكو ويتألم:

مجاهد الدين دمت ذخراً　　　لكل ذا فاقة وكنزا
بعثت لي بغلة ولكن　　　قد مسخت في الطريق عنزا(1)

ومدحه كذلك ابو المعالي، اسعد بن يحيى السنجاري بقصيدته المشهورة التي تنم عن ذوق سليم وطبع هادىء ومنها:

يا قلب تبا لك من صاحب　　　كان البلا منك ومن ناظري
لك ايامي على رامة　　　وطيب اوقاتي على حاجر
تكاد بالسرعة في مرها　　　اولها يعثر بالاخر(2)

ومدحه أيضاً العدل، ابو القاسم جبريل بن منعة بن ملك الاربلي بقصيدة منها:

ومهفهف أزرى بورده خده　　　حسنا على ورد الربيع وزهره
خاف العيون الناظرات فصانها　　　عنها ببث عقارب من شعره
لما اكتسى حلل الجمال بأسره　　　أضحى الفؤاد بأسره في أسره
فاق الخلائق بالمحاسن مثلما　　　فاق المجاهد ذو العلا بوفره
ملك له كف لها خلق الحيا　　　يغشى السهول من الحزون بقطره
وجه كأنَّ الصبح متصل به　　　حتى اضاء به تنفس فجره(3)

وقد الف ابو المعالي اسعد بن علي الحظيري كتاباً لقايماز سماه «الاعجاز في

---

(1) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٣.

(2) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٣.

(3) ابن المستوفى: تاريخ اربل ق١ ص٧٦-٧٧ تحقيق سامي الصقار طبعة ١٩٨٠م.

حل الاحاجي والالغاز برسم الأمير مجاهد الدين قايماز[1]» عندما كان في اربل، وقد بقي بكنفه مدة ثم اشتاق الى بلده الحظيرة فانشد قصيدة بعثها لقايماز منها:

الا من لصب قليل العزاء   غريب يحن الى المنزل
ينادي باربل احبابه   وانى الحظيرة من اربل[2]

وكان قايماز نفسه من الشخصيات الادبية التي تتذوق الأدب والشعر والحكايات والتاريخ وهذا يفسر لنا شغفه بالشعر والشعراء وانعامه عليهم وكثيراً ما كان يسمع وهو ينشد:

اذا أَدْمَتْ قوارصكم فؤادي   صبرت على اذاكم وانطويت
وجئت اليكم طلق المحيا   كأني ما سمعت وما رأيت[1]

ونال قايماز شهرة لما قام به من جلائل الاعمال وما قدمه من خدمات للموصل واربل وغيرهما. وقد راسل الملوك وراسلوه وقدم لهم الهدايا وبادلوه ذلك. وقد كثرت كتبه الصادرة والواردة مما اضطر معه ان يعهد الى مجد الدين أبي السعادات ابن الاثير احد رجالات العلم والادب في الموصل وشقيق المؤرخ الكبير ابن الاثير صاحب الكامل في التاريخ، وصاحب كتاب جامع الأصول، بالكتابة الانشائية لديه وذلك ليقوم بمهمة الاشراف على كتابة رسائله الصادرة والواردة[3].

ومهما يكن من أمر فإن مركز النيابة في اربل والموصل قد علا شأنه أيام امارة قايماز واصبح هذا يتمتع بشخصية محببة الى النفوس. وليكسب مزيداً من السمعة الطيبة قدم العون للمحتاجين في الموصل وغيرها ما استطاع الى ذلك سبيلاً. ولم يحابي فئة من فئات المجتمع بل كان للجميع يقدم العون بلا حساب وتجلت شهرة

---

(١) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٤.
(٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٣.
(٣) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٤.
(٤) ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ص٨٤/١٤١-١٤٢.
ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٧ ص٣٢٦.
المنذري: التكملة لوفيات النقلة ج٢ ص١٥٩.

الموصل في زمنه عندما استنجدت اربل بقايماز ودعته لاستلام الحكم فيها عام ٥٨٦هـ اثر موت اميرها زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك بن بكتكين مع علمها بتضاؤل دور الموصل آنذاك لأن دور القيادة كان قد انتقل من الموصل الى صلاح الدين الأيوبي. ولكن جماهير اربل فضلت قايماز على وريث عرشها مظفر الدين كوكبوري شقيق زين الدين يوسف الذي قدم العون لصلاح الدين في حربه مع الموصل، وعدو قايماز القديم فكأنها فضلت قايماز عليه لما يتمتع به من رصيد شعبي من الحب والتقدير منذ أيامه الأولى في اربل.

ومما يلفت النظر ان جماهير اربل قد اتصلت بقايماز ودعته ليتولى حكم مدينتها وامارتها مفضلة اياه على الوريث الشرعي مظفر الدين كوكبوري[1]. ولكن قايماز لم يجب طلبها. ولعل ذلك راجع الى ان امير الموصل كان آنذاك قد غل يديه وقلص نفوذه، ووضع معه احد غلمانه ليشاركه في اصدار القرارات مما عطل كثيراً من المشاريع وأخر العون المطلوب من اربل[2]. ثم ان قايماز لو قدم العون لاربل وذهب ليحكمها فان السلطة المطلقة ستكون لاميره، أمير الموصل، وهو لا يريد أن يقوّي نفوذ الموصل آنذاك لأنه اضعف من أن يجابهها، الأمر الذي يفسر لنا احجام قايماز عن دعم اربل نكاية بعزالدين مسعود صاحب الموصل[3] وبخادمه الذي يشاطره الحكم.

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص٥٦.
(٢) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص٥٧.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص٥٧.

وفاة مجاهد الدين قايماز:

في ربيع اول عام ٥٩٥هـ/ يناير ١١٩٩م انتقل مجاهد الدين قايماز الى جوار ربه بقلعة الموصل وقيل كان ذلك عام ٥٩٤هـ، بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال(١).

ونحن نميل الى تصديق الروايات القائلة بوفاته عام ٥٩٥هـ لأن من قال بها من المعاصرين للاحداث أكثر التصاقاً بها ممن يقولون غير ذلك ثم ان ابن الأثير نفسه يورد روايتين لموته عام ٥٩٤هـ/ ٥٩٥هـ دون أن يجزم.

وقيل في رواية موته أنه مات في قلعة الموصل وكان بها مسجوناً من قبل نور الدين ارسلان شاه(٢). وهذا الكلام لا يتفق مع سير الأحداث، فالمعاصرون من

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٩٣ يقول توفي في ربيع عام ٥٩٥هـ.
ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص١٥٣ يقول توفي في ربيع عام ٥٩٤هـ.
سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ص٤٥٨ الوفاة عام ٥٩٤هـ.
ابن الساعي: الجامع المختصر ١٣٥٣هـ /١٩٣٤م بغداد الوفاة ٥٩٥هـ.
ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ج٦ ص١٤٤ الوفاة ٥٩٤هـ ١١٩٧-١١٩٨م
داود جلبي: مخطوطات الموصل ص٧ الوفاة ٥٩٥هـ ١١٩٩م.
(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ص٤٥٨ (المتوفى عام ٦٥٦).
يقول: ان قايماز توفي مسجوناً في قلعة الموصل لأن نور الدين سجنه وضيق عليه وآذاه فتوفي في السجن واخرج ملفوفاً في كساء. فلما وصل الى باب البلد قال البوابون: قفوا حتى نستأذن فأبقي على قارعة الطريق حتى أذن له.
وهذا لا يتفق مع الروايات المعاصرة كابن الأثير وابن خلكان وابن الساعي المتوفى عام ٦٧٤ وابن واصل المتوفى عام ٦٩٧ وقد شارك سبط ابن الجوزي المتوفى عام ٦٥٦هـ، ابن تغري بردى صاحب النجوم الزاهرة ج٦ ص١٤٤.
والظاهر ان هناك رواية تقول بموته مسجوناً عام ٥٩٤هـ. في قلعة الموصل واخرى تقول توفي طبيعيا في قلعة الموصل عام ٥٩٥هـ ونحن نميل الى تصديق الرواية الثانية لأن مجمل الاحداث يتفق معها ومن قال بها اكثر دقة وثقة خاصة وان المشهور ان قايماز اعتقل في عهد عزالدين مسعود لا زمن ولده ارسلان شاه ويخالف هذا ابن المستوفي في تاريخه اربل ج٢=

المؤرخين ذكروا ان علاقته كانت حسنة بنور الدين ارسلان شاه وانه توفي وفاة عادية في قلعة الموصل وهم بدورهم لا ينكرون الحقيقة لأنه لا مصلحة لهم في هذا. فابن الأثير ذكر اخبار قايماز بمنتهى الدقة شأنه شأن غيره ولم يتعصب له ولا عليه مما يجعلنا نثق برواياته. وان هذه المصادر تؤكد في ما ذكرته أن قايماز سجن ايام عزالدين مسعود لا زمن ولده نور الدين ارسلان شاه كما ذكرنا سابقاً.

ومهما قيل فان وفاة قايماز جاءت منهية فصلاً رائعاً بل اروع فصول نيابة الحكم الأتابكي في الموصل واربل[1].

= ص٢٤ عندما يقول مات مسجوناً في قلعة الموصل عام ٥٩٥هـ لا عام ٥٩٤هـ. وهذا رأي مرجح للسنة ومخالف في طبيعة الموت.

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٩٣ يقول الوفاة عام ٥٩٥هـ.

ابن الأثير: الكامل ج١٢ ص١٥٣ يقول الوفاة عام ٥٩٤هـ.



أولا : «المصادر»

ابن الأثير (عزالدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري) ت: ٦٣٠هـ.

«الكامل في التاريخ» ١٣ جزء. دار صادر. دار بيروت بيروت. لبنان ١٩٦٥م - ١٩٦٧م.

«الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية في الموصل ٢٢. تحقيق عبدالقادر طليمات طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣م.

الاسنوي (جمال الدين عبدالرحيم) ت: ٧٧٢هـ

«طبقات الشافعية الصغرى» وزارة الاوقاف. جزءان تحقيق عبدالله الجبوري ط/ ١ مطبعة الارشاد. بغداد ١٣٩٠-١٣٩١ / ١٩٧٠-١٩٧١م.

اصطفان الدويهي، الأب: ت: ١١١٦هـ.

«تاريخ الأزمنة» ميكروفيلم بجامعة الكويت رقم ٢٥٤ تاريخ.

ابن أيوب (تاج الدين شاهنشاه) ت: القرن السادس الهجري.

«منتخبات من تاريخ صاحب حماة» بذيل سيرة صلاح الدين الايوبي لابن شداد. مطبعة الاداب والمؤيد بالقاهرة. شركة طبع الكتب العربية سنة ١٣١٧هـ.

الأيوبي (محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه) ت: ٦١٧هـ.

«مضمار الحقائق وسر الخلائق» تحقيق حسن حبشي. عالم الكتب. القاهرة. ١٩٦٨م.

البنداري (قوام الدين الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني) ت: ٦٤٢هـ.
«سنا البرق الشامي» تحقيق فتحية النبراوي. مكتبة الخانجي. مصر ١٩٧٩م.
«سنا البرق الشامي» ق/ ١ تحقيق رمضان ششن. دار الكتاب الجديد. ط/ ١ لبنان. ١٩٧٠/ ١٩٧١م. والكتاب بطبيعته هو مختصر البرق الشامي للعماد الاصفهاني.

ابن تغري بردي، (ابو المحاسن جمال الدين بن تغري بردي الاتابكي) ت: ٨٧٤هـ.
«النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة» ١٢ جزء. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية. بمطابع كوستاتسوماتش وشركاه. وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٣م والاجزاء (١٣-١٦) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب تحقيق فهيم شلتوت وآخرون. ١٣٩٠- ١٣٩٢هـ / ١٩٧٠- ١٩٧٢م.

ابن جبير (ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكتاني الاندلسي الشاطبي) ت: ٦١٤هـ.
رحلة ابن جبير. طبعة دار صادر. دار بيروت. لبنان ١٣٨٤/ ١٩٦٤م.

ابن الجوزي (ابو الفرج عبدالرحمن) ت: ٥٩٧هـ.
«المنتظم في تاريخ الملوك والامم». خمسة اجزاء من النصف الثاني من الجزء الخامس وحتى العاشر. طبعة دار المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن. ط/ ١ الهند ١٣٥٧ -١٣٥٩هـ.

الحموي (ابو الفضايل محمد بن علي الحموي) ت: ٦٤٤هـ.
التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان» نشر بطرس غرياز نويج. دار النشر للاداب الشرقية. اكاديمية الفنون السوفيتية. موسكو ١٩٦٠م.

الحنبلي (احمد بن ابراهيم) ت ـ ٨٧٦هـ.
«شفاء القلوب في مناقب بني أيوب» تحقيق ناظم رشيد. وزارة الثقافة والفنون العراقية. بغداد. ١٩٧٨م.

ابن حوقل (ابو القاسم بن حوقل النصيبي) ت: ٣٦٧هـ.
«صورة الارض». طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت. لبنان.

الحيص بيص (ابو الفوارس شهاب الدين سعد بن محمد بن سعد) ت: ٥٧٤هـ.
«ديوان الحيص بيص» ٣ اجزاء تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر وزارة الاعلام العراقية. سلسلة كتب التراث رقم ٣٤ عام ١٩٧٥م.

ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر) ت: ٦٨١هـ.
«وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان» ٨ أجزاء. طبعة دار الثقافة تحقيق احسان عباس. بيروت. لبنان. ١٩٦٨ ـ١٩٧٢م.

الدواداري (ابو بكر بن عبدالله بن ايبك) ت: بعد ٧٣٦هـ.
«كنز الدرر وجامع الغرر، الدره المضية في تاريخ الدولة الفاطمية». تحقيق صلاح الدين المنجد ج/ ٦. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. معهد الدراسات الاسلامية الالماني بالقاهرة. القاهرة ١٣٨٠/ ١٩٦١م.

الذهبي (ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد الدمشقي) ت: ٧٤٨هـ.
«تاريخ الاسلام» مخطوط. ميكروفيلم بجامعة الكويت رقم ١٢٦٨ تاريخ.
«دول الاسلام» جزءان. تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة. القاهرة ١٩٧٤/ ١٣٩٤هـ.

ابن الساعي (ابو طالب علي بن أنجب الخازن البغدادي) ت: ٦٧٤هـ.
«الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير» ج/ ٩ تحقيق مصطفى جواد. بنفقة الاب انستاس الكرملي. المطبعة الكاثوليكية. بغداد. العراق.

سبط ابن الجوزي (ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي) ت: ٦٥٤.
«مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» ج/٨. ط/١ قسمان. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن. الهند. مكتبة المثنى بغداد ١٩٥١-١٩٥٢م.

ابو شامة (شهاب الدين ابو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي الشافعي) ت: ٦٦٥هـ.
«كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية» ط/ دار الجيل بيروت.
«تراجم رجال القرنين السادس والسابع» نشر ومراجعة عزة العطار الحسيني. تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري ط/ ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

ابن شداد (بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم) ت: ٦٣٢هـ.
«النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه (سيرة صلاح الدين) تحقيق جمال الدين الشيال ط/١. الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر. مؤسسة الخانجي مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٢م.

ابن شداد (عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم) ت: ٦٨٤هـ.
«الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة» ج/٣ تحقيق يحيى عبارة وزارة الثقافة-سوريا. قسمان. القسم الاول دمشق ١٩٧٨م، الثاني ١٩٨٠م.

ابن عبدالحق (صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي) ت: ٧٣٩هـ.
«مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع» ٣ اجزاء. تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية. عيسى الباع الحلبي. ط/١. القاهرة ١٣٧٣-١٣٧٤/ ١٩٥٤-١٩٥٥م.

ابن العبري (غريغوريوس الملطي) ت: ٦٨هـ.
«تاريخ مختصر الدول» المطبعة الكاثوليكية ببيروت لبنان ١٩٥٨.
«التاريخ السرياني» مجلة المشرق عدد ٤٦ عام ١٩٥٢م وعدد ٤٧ عام

١٩٥٣م. المطبعة الكاثوليكية ترجمة الأب اسحق السرياني ببيروت.

ابن العماد الحنبلي (ابو الفلاح عبدالحي) ت: ١٠٨٩هـ.

«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» نشر مكتبة المقدسي عن نسخة دار الكتب المصرية وبعضها بنسخة الامير عبدالقادر الجزائري. ٥أجزاء ١٣٥٠هـ/ ١٩٥١م.

العمري (محمد امين بن خيرالله الخطيب العمري) ت: ١٢٠٣هـ.

«منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء» تحقيق سعيد الديوه جي مطبعة الجمهورية الموصل. العراق ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

العيني (بدر الدين محمود) ت: ٨٤٥.

«عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان» ج/ ١٢ مخطوط ميكروفيلم بجامعة الكويت رقم ٦٠١ تاريخ.

«عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان» ج/ ١٣ مخطوط بجامعة الكويت ميكروفيلم رقم ٦٠٢ تاريخ.

الغساني (ابو العباس اسماعيل بن العباس) ت: ٨٠٣هـ.

«العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك. دراسة وتحقيق شاكر محمود عبدالمنعم تصحيح علي الخاقاني. دار التراث. دار البيان. بيروت. بغداد ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

ابو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن عمر ابن شاهنشاه) ت: ٧٣٢هـ.

«تقويم البلدان» اعتنى بتصحيحه وطبعه ريشود والبارون ماك كوكن ديسلان. طبع باريس ١٨٤٠م دار الطباعة السلطانية. نسخة مصورة عنها بمكتبة المثنى. بغداد ومكتبة الخانجي بمصر.

«المختصر في أخبار البشر» ٤ أجزاء في مجلدين. طبعة دار المعرفة بيروت. لبنان.

الكتبي (محمد بن احمد بن شاكر) ت: ٧٦٤هـ.
«عيون التواريخ» ج/١٢ تحقيق فيصل السامر ونبيله داود. وزارة الاعلام. سلسلة كتب التراث رقم ٤٧. العراق. ١٩٧٧م.

ابن كثير (عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير): ت ٧٧٤هـ.
«البداية والنهاية» طبعة دار المعارف. ط/٢. ١٩٧٧م.

مجهول:
«انسان العيون في مشاهير سادس القرون». ميكروفيلم بجامعة الكويت رقم ١٣٠٣هـ.

ابن المستوفي (شرف الدين ابو البركات بن احمد اللخمي الاربلي) ت: ٦٣٧هـ.
«تاريخ اربل» او: «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل» تحقيق سامي الصقار في مجلدين بغداد ١٩٨٠م.

المقريزي (ابو العباس تقي الدين احمد بن علي) ت: ٨٤٥هـ.
«السلوك لمعرفة دول الملوك» ٤ أجزاء تحقيق محمد مصطفى زياده مطبعة دار الكتب المصرية. لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٩١٤- ١٩٣٤م.

المنذري (عبدالعظيم زكي الدين ابو محمد عبدالقوي) ت: ٦٥٦هـ.
«التكملة لوفيات النقلة» تحقيق بشار عواد معروف. مطبعة الاداب النجف. ٦ مجلدات ١٣٨٨- ١٣٩١ / ١٩٦٨- ١٩٧١م.

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل) ت٦٩٧هـ.
«مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» ٣ أجزاء تحقيق جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٥٣، ١٩٥٧، ١٩٦٠م. والجزء الرابع والخامس تحقيق حسنين ربيع ومراجعة سعيد عاشور. مطبعة دار الكتب المصرية. ١٩٧٢م.

ابن الوردي (زين الدين او سراج الدين ابو حفص عمر بن مظفر) ت: ٧٤٩هـ.

«تتمة المختصر لأبي الفداء أو: تاريخ ابن الوردي» جزءان. المطبعة الحيدرية ط/ ٢ النجف ـ العراق. ١٩٦٩م.

ياقوت الحموي (شهاب الدين ابو عبدالله بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي) ت: ٦٢٦هـ.

«معجم البلدان» ٥ مجلدات. طبعة دار صادر بيروت لبنان.

ثانيا: «المراجع الحديثة»

جب، هاملتون. أ. ر، المستشرق.

«صلاح الدين الأيوبي» دراسات في التاريخ الاسلامي حررها يوسف ايبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. ١٩٧٣م.

داود جلبي:

«مخطوطات الموصل» مطبعة الفرات، بغداد، العراق ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

دريد عبدالقادر نوري، الدكتور.

«سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة» ساعدت جامعة بغداد على نشره وطبعه. مطبعة الارشاد. بغداد. ١٩٧٦م.

رشيد الجميلي، الدكتور.

«دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي» ط/ ٢ دار النهضة العربية بيروت. لبنان. ١٩٧٥م.

زامباور (ادوارد فون) المستشرق،

«معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وحسن احمد محمود. مطبعة جامعة فؤاد الاول (القاهرة الان) طبعة ١٩٥١م.

سعيد الديوه جي، الاستاذ.

«الموصل في العهد الأتابكي» مطبعة شفيق. بغداد ١٣٧٨/ ١٩٥٨م.

«جوامع الموصل في مختلف العصور» مطبعة شفيق بغداد. ١٣٨٢-١٩٦٣م.

عبدالقادر، طليمات، الدكتور.

«مظفر الدين كوكبوري» وزارة الثقافة والارشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة اعلام العرب رقم «٣٢» مكتبة مصر. القاهرة ١٩٦٣م.

عصام الدين عبدالرؤوف، الدكتور:

«بلاد الجزيرة اواخر العصر العباسي» ط/ ١ دار الفكر العربي. القاهرة. سنة ١٩٧٥م.

كي، ليسترنج. المستشرق.

«بلدان الخلافة الشرقية» ترجمة بشير فرنسيس. كوركيس عواد مطبعة الرابطة. مطبوعات المجمع العلمي العراقي. بغداد ١٣٧٣/ ١٩٥٤م.

محسن محمد حسين، الدكتور.

«اربل في العهد الاتابكي» ساعدت جامعة بغداد على نشره. مطبعة اسعد بغداد. ١٩٧٦م.

«الموسوعة العلمية الميسرة» باشراف محمد شفيق غربال. القاهرة. دار القلم ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر. الدار القومية. طبعة مصر ١٩٦٥م.

ثالثا: «المراجع الأجنبية»

1. Encyclo peadea of Islam. Vol. 11.

2. Lane- Poole (s):

Saladin and the fall of the king dome. Beirut. 1964 3. Setlon (K. M) :

A history of the Crusaders Vol. 1. 4. Smith (J. R) :

The Knights of Saint John in Jerusalem and Cyprus. England. Edin Burgh 5. Stevenson (W. B) :

The Crusaders in the East. Beirut, 1968

الفهرس



وتطلب جميع منشوراتنا من
الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ص.ب: ٧٤٦٠ - برقيا: بيوشران

